عندما يحاول الإنسان تذكر ما كان يجري في فترة زمنية ماضية. خاصة إذا كان صغير السن من جهة وغير ناضج ذهنياً من جهة أخرى فإنه لايدرك آنذاك أهمية تلك المرحلة ولا بطولة ذلك الجيل. إلا أنه وبتقدم السنين وخوض التجارب وكشف الحقائق وكثرة القراءة والمطالعة يستطيع بعد ذلك العودة إلى الوراء إلى الماضي بذاكرته. من هذا المنطلق أحاول تذكر ما يتعلق من معرفتي بالشاعر الكردي قدري جان ديركي.

كان الشاعر قدري جان صديقاً للوالد مثل كثير من الشخصيات الوطنية والأدبية والسياسية الكردية، كالدكتور نورالدين زازا ـ مؤسس وسكرتير أول حزب كردي في سوريا ـ وأكرم جميل باشا ـ شارك في ثورة الشيخ سعيد وحوكم أمام محاكم الإستقلال ـ مؤلف كتاب تاريخ كردستان. وقدري جميل باشا وقف إلى جانب قاضي محمد في مهاباد أثناء إعلان الجمهورية الكردية وإستعراض الجيش الكردي أمام المنصة الرئيسية. مؤلف كتاب في سبيل كردستان. والمفكر والأديب الكردي الكبير ممدوح سليم. أحد قادة جمعية خويبون. وآخرون لا أتذكرهم جيداً. كنت في تلك المرحلة يافعاً يأخذني والدي معه أحياناً لزيارة أصدقائه في بيوتهم أو في المقاهي أو الحدائق. ومن جملة هذه الزيارات زيارتنا لمنزل الشاعر الكردي قدري جان. فقد كان يسكن مدينة دمشق حي المهاجرين ـ الجادات العليا. كان عمله في وزارة التربية (المعارف) أتذكر المنزل وأسرة الشاعر زوجته الشركسية[6] وأولاده. كان الوقت ظهراً جلسنا في غرفة كان فيها عدد من الكراسي وطاولة، وكان اثاث البيت متواضعاً، ويفوح من البيت مظهر المدنية. جاؤوا بالطعام تناولنا الغداء وأمضينا فترة ثم أستأذن الوالد وخرجنا عائدين إلى بيتنا في حي الاكراد.

في لقاء آخر كان هنالك زيارة مشتركة إلى مكتب المحامي صفوح الغفري في شارع الفردوس. فقد ذهبت مع والدي برفقة الشاعر إلى مكتب المحامي وكان صديقاً لشاعرنا جلسنا في المكتب تجاذبوا أطراف الحديث، تناولوا فناجين القهوة وخرجنا بعد ذلك.

في مناسبة أخرى لا أتذكر في أي مقهى تم اللقاء الهافانا أو الكمال. أتذكر أثناء جلوسنا حول طاولة. أخرج الشاعر من جيبه ظرفاً فيه مجموعة صور. كان يخرج واحدة واحدة ينظر إليها والدي ثم يضعها جانباً وكنت بسبب الفضول أنظر لتلك الصور. إحدى الصور كانت للشاعر قدري جان مع الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري ملتقطة في أحد مقاهي بغداد. صورة أخرى للشاعر مع عدد من ضباط الجيش العراقي أعتقد أنهم من الكورد. إحدى الصور للشاعر مع قائد الثورة الكردية المرحوم مصطفى البارزاني الخالد باللباس المدني جالسين حول طاولات مع آخرين في إحدى نوادي بغداد.

مناسبة أخرى أتذكر أن أحد أقاربنا كان قد جاء من الجزيرة السورية إلى دمشق لشراء فندق صغير تمهيداً للعمل فيه مع أولاده لأنه كان قد قرر السكن في دمشق وكان والدي والشاعر يساعدونه في البحث عن فندق مناسب وكنت بصحبة والدي حيث كانوا يسيرون سوية بعد مشوار البحث وصلنا إلى ساحة المرجة وسط المدينة حيث الفنادق والمطاعم كان الوقت صيفاً والحر شديداً في وقت الظهيرة. كان الشاعر يضع قبعة

6 زوجته تركية الأصل وليست شركسية، وهي ابنة عثمان بك وهو تركي الأصل (يحن إلى الخلافة العثمانية).

أمريكية مصنوعة من القش على رأسه لإتقاء حرارة الشمس الملتهبة. قام قريبنا بدعوتهم إلى الغـداء وبصعوبـة تمكن من إقناعهم بقبول دعوته على الغداء. هذه هي المناسبات التي كنت موجوداً مع الشاعر.

الآن سآتي على الإنطباع الذي تكـون لـدي عـن شـخصية الشـاعر الظاهريـة. لم أكـن أعـرف في تلـك الظروف شيئاً عن أهمية الشاعر إنما كنت أدرك من خلال أحـترام والـدي لـه أنـه ذو أهميـة مـا. وأتذكـر ونحن أطفال صغار نردد إحدى أشهر أناشيد الحماسة الوطنية الكردية في تلك المرحلة ونحفظها ظهراً عـن قلب خاصة أنها كانت تبث من الإذاعة الرسمية في العـراق في عـهد عبدالكريـم قاسـم الـذي يقابلـه عـهد الوحدة في سوريا آنذاك ولم نكن نعرف أن هذا النشيد قد جادت به قريحة الشاعر وأن أناملـه قـد كتبتـه. الآن بعد هذه السنين الطويلة التي مضت (المرحلة التي أكتب عنها تقع بين 1970ـ 1972).

أحاول تذكر شكل الشاعر أوصافه الجسمية والنفسية. كان ضخم الجسم طويل القامة. لون بشرته مـائل إلى البياض والشقرة، قسمات وجهه لطيفة تنبيء عن إنسان هاديء وقور. كان يلبس بنطالاً مع حزام علـى قميص نصف كم. أعتقد أنه لم يكن يدخن. عندما كان يجلس مع والـدي كنـت ألاحـظ أنـه قليـل الكـلام لايتحدث من تلقاء نفسه. كان يتحدث عندما يُسأل. كلامه من النوع الهاديء. كان ساهماً ينظـر إلى الأفـق كأنه يفكر بشيء ما يشغل باله. كنا نعيش حياة عادية بكل مافيها من صعوبة ومشقة تشـغلنا عـن الكثـير من الهموم الوطنية. فجأة لا أدري كيف سمعت أن قدري جان توفي سألنا ما السبب قيل أنه توفي بالجلطة الدماغية. الوالد كان على اتصال مع أسرته فقام بالواجب.

أتذكر مراسم تشييع الجنازة والدفن بشـكل جيـد، وضـع التـابوت في جـامع الكـردان في حـي الاكـراد بدمشق، صلي عليه. كنا متجمعين أمام الجامع. حشد كبير من الناس جاؤوا للمشاركة. سيارة نقل الموتـى متوقفة خارج الجامع في مقدمتها علق أكليل من الورد بشـكل دائـري مكتـوب علـى قماشـة سـوداء عبـارة الأمين العام للحزب الشيوعي السوري تحتها كتب اسم خـالد بكـداش علـى جـانبي السـيارة أكـاليل مـن الورود تزينها. بعد الصلاة أخرج التـابوت مـن الجـامع ووضـع في السـيارة. ثـم انطلقـت السـيارة وخلفـها المشيعون باتجاه طلعة مقبرة الشيخ خالد. في منتصف الطريق قام بعض الناس بإخراج التابوت من السـيارة ووضعوها فوق اكتافهم، سارت السيارة في المقدمة والتابوت على الأكتاف والمشيعون يسيرون خلف السيارة. وصلنا المقبرة. كان القبر محفوراً جاهزاً. تجمع الناس حول القبر بشكل دائري. ثم انزلت الجثة إلى القـبر. كان هناك شخص يحمل كاميرا فيديو يصور الناس وهم ينزلون الجثة إلى القبر. كان يـدور بالكامـيرا علـى الناس ببطيء يصور الحضور. بعد الدفن تفرق الناس. بعد فترة قام الوالد بكتابة مرثية للشاعر المتوفي لتنقش على شاهدة القبر الحجرية ذهب إلى النحات الذي يقوم بقـص وتفصيـل الشـاهدة الحجريـة وفـق المقيـاس المطلوب. قام الفنان الكردي نوروز آلوسي برسم رمزي عبارة عن غصني زيتـون متصـالبين وسـطها جبـلان وفوق الجبلين شمس ساطعة مشرقة.

وهكذا وضعت الشاهدة بهذا الشكل على مقبرة الشاعر لتشير إليه في مثواه الأخير. (رحمهالله).

ابو شورش 1999/6/3

قصص ومقالات

إن وجدت الصرخة، فالشكوى تليها

إلى أخي عثمان صبري.

ليلة ظلماء، تعجز العين عن الرؤية... يقطع الصقيع أقدامي العارية كسكين، تصفر الريح الهوجاء أحياناً في أذني. لا أعرف إلى أين تقودني قدماي؟ لكن أعرف طريقي من خلال خطوات عكازي. هكذا أمشي. منذ عدة أيام لم يفارقني الثلج والزوابع... نعم الليلة أيضاً مظلمة، يتساقط الثلج عليّ بغزارة تحتضنني العاصفة الثلجية. ارتجف من البرد، عبث وهراء هذا البرد.

أتجمد... لاأستطيع الحركة... لم يصدر مني صوت. تناهى إلى سمعي صراخ صوتٍ شاك. ماهذا الصوت؟ أفتح عينيّ لا أميز مصدر الصوت. لكني أعرف هذا الصوت، كان صوت ابني (أبي... أبي).

ـ نعم يا بني... أين أنا؟

ـ أبي... أنت في البيت. لماذا لاتفتح عينيك!

فتحت عيني خائفاً. وجدت نفسي في بيتي، بين أولادي، وعلى فراشي. وقد جلس ابني (هيم كران) أمامي وقال: أين كنت عندما احتل العثمانيون بلادنا؟.. تكاتفنا نحن الشباب، هزمنا أعداءنا، بنينا وطننا، وشيدنا بيتنا. قلنا يجب أن يأتي والدي، لكنك لم تأتِ. وقد رأيت حلماً، كنت فيه في مأزق... تستغيث بنا.

حزمت امتعتي، قطعت الجبال والوديان.. ووصلت. رأيت أن والدي يرتجف من البرد، والثلج يتساقط. لقد تجمد كل شيء فيك، قلبك الوحيد الذي كان ينبض، ايقظت والدي... اعطيته كتبي، وسلكنا طريق البيت، جئنا منذ عدة أيام... هيا انهض، كي تبقى أنت المربي... وعماد البيت.

كم هي جميلة هذه الحياة
بين الأهل والأخوات،
وهل القلب لايئن
من جروح الرماح،
هذا الجرح جرح الرماح،
يثقل كاهلنا
و بلا كبد وفؤاد

أخوات مفجوعات
هذه صرختنا
والنوم ضرر وبلاء
نحن لا نشك أبداً
في نصائح الخلان.

* مجلة هاوار العدد 1 السنة 1932 الصفحة 5، 6.

القـرية المحدثة

أنهار تجري بين البساتين المزروعة بكافة أنواع الاشجار المثمرة، تحلق أنواع الطيور ثم تحـط على الأشجار، يغرد كل طير لحناً شجياً يبعث في النفس الحزن ويمـزق داخلـي، إنـه شـحرور، جميل الشكل شجي اللحن، يبعث الراحة في قلبي والضياء في بصري.

تقع قريتي بين تلك البساتين الجميلة مع خمسـة عشـر بيتـاً، إنـه مأوانـا ومضافـة القريـة، نجتمع فيها بعد العشاء أحياناً، ونتمدد على مروجها، كنا فرحـين للأحـاديث الجميلـة، وكـان البستان مصدر سرورنا.

لماذا لايمكن للمرء أن ينسى الوطن المثخن بالجراح؟ كنا نقـول: لا نملـك أبوابـاً ومنـافذ، لـذا كان الجرح يدغدغنا في كل خطوة ويذكرنا بالوطن، نفور ونتحمس من أجـل المـاضي. مـاذا نريـد هذه المرة؟ القرية هي قريتنا، والبستان بستاننا، وكل شيء فيها لنا.

هل يجوز هذا؟ تعالوا مرة واحدة فقط وانبشوا داخلي، أخرجوا منه القلـب، فتتـوه إلى قطـع صغيرة، ستلاحظون أن القطع الصغيرة تتكلم، وستبكي معها... أعرف تمامـاً أنكـم لـن تتمـالكوا أنفسكم ولن تستطيعوا ايقاف السيل الجارف من دموعكم التي تجري مع نهر الفرات أميالاً.

عندئذ ستدركون أنني لست عاشق جمال الشحرور فقط، بل عاشق صوته الشجي أيضـاً، لأن حياتنا واقعة بين منقاره الشجي، تنتهي بإنتهاء الاغنية الحزينة.

كونوا أصحاب القرية المحدثة فهي قريتكم، فالنجدة والبشرى لمدينتكم.

* مجلة هاوار العدد 2 السنة 1932 الصفحة 6.

سـليمان بك بدرخان

سليمان بك هو ابن خالد بك بدرخان، ولد عام 1890م في المنفى، بعيداً عن الوطن، درس في المدرسة السلطانية في اسطنبول، كان شاباً ذكياً عاقلاً وسيماً، يحب شعبه كثيراً.

أخبرني مؤخراً أحد أصدقائي أن له قصيدة. وقد كتب هذه القصيدة عن كردستان، والوطن. أردت أن أحيي ذكرى سليمان بك وتجربته في هذه الزاوية حفاظاً على ألاّ يضيع اسمه أيضاً وننقذه من الضياع.

أصبح حبه لوطنه ايماناً، كما يقول في قصيدته في البيت التالي:

حب الوطن من الإيمان

آه كردستان، آه كردستان

حسرة الوطن أصبحت له داءً مزمناً.

احترق القلب من عشق الوطن

الروح والجسم تعفن

مهما كانت بلدان العالم جميلة. لكن وضع الزوزان كان له مكانة أخرى في القلب.

مهما كان الوطن عذباً – حلواً

فبلاد الزوزان أجمل – أعذب

عندما ينبعث الأنين والحسرة من القلب، يكتب في القصيدة:

ألف آه، من التفرق

ألف آه، من التمزق.

لم يشهد أحد لكتاباته (لشعره) قرر أخيراً:

إلى متى تدوم الغربة

لنذهب إلى الشعب

اتجه إلى الوطن والاصدقاء والاحباب دون وجل:

دافع كثيراً في سبيل أن يرى الوطن. وقد يسر له الله الطريق. زرع روح الكردية بين شباب الكورد. علمهم القراءة والطريق الصحيح. لكن للأسف، لم يكمل طريقه، قضى نحبه في منتصف الطريق وكان ضحية، القنابل التركية، تحدى جسمه حراب الاتراك وارتفع.

نعم قدم سليمان بك حياته بشجاعة في سبيل وطنه. كان يبلغ مـن العمـر 22 عامـاً، لكنـه لم يأخذ معه حسرة الوطن. ولم يكمل طريقه إلى النهاية لكنه نصَّف المشوار، وأصبح فكـره وتجاربـه درساً للشباب الكورد، درساً ذا عبرة لايمكن نسيانه.

اما اليوم فكل الشباب الذين يعرفون سـليمان بـك يحلفـون برأسـه، ويريـدون أن يدافعـوا في سبيل الوطن كما فعل سليمان بك. إن لم يسيروا على هدي سليمان بك، فلن تهدأ روحه. فلينزل الله أمطار رحمته عليه ولنطلب الرحمة والغفران له.

* مجلة هاوار العدد 3 السنة 1932 الصفحة 4، 5.

البصرى الذهبية

إلى مرشدنا الكبير قدري بك المحترم.

بصرى الذهبية مدمرة، و(كوتو ماكسو) مهزوم

جبل تورجل أقْفرَ من طيور (باز بلك)

ونبع(كانيا هنارى)، وديريك الجميلة ذليلة

كلهم ثمالى من الهموم وينتظرون النجدة.

لم يأت اليوم ماكس أمير بصرى إلى المضافة. ظل جالساً في طرف قصي من البيت على المعطف القزويني، واضعاً رأسه بين كفيه، محتاراً شارد الفكر.

وعندما وجده أهله في هذه الحالة، لم يتجرأ أي شخص الاقتراب منه، وكأن شيئاً خطيراً حدث له، إنه عصبي، بقي فترة زمنية شارد الفكر، محتاراً، لايتفوه بكلمة، ولايرفع رأسه. عندما استيقظ من غفلته، كان في حالة يرثى لها، متهدل الشاربين، محمر العينين، مكفهر الوجه، وقف شعره كشوك القنفذ... صرخ على ابنه شاول.

ـ شاول... شاول... أمير برج ماتينه يتطاول علينا كثيراً، لقد أصبح شوكة يخز حياتنا، وخاصة في الفترة الأخيرة، وعلاوة على ذلك يريد أن يُكره أختك بيروز على الزواج على الرغم منا. أنا ماكس أمير بصرى، لم أزعج أحداً حتى الآن، وخاصة أمير برج ماتينه... لقد ارسل لي رسالة... هذه هي .

يقرأ شاول رسالة أمير برج ماتينه: Birca Metina

برج ماتينه ـ 10 ـ 7 ـ 1200

ماكس:

هذه رسالتي الرابعة، ولتعلم أنها الأخيرة. لم ترد على رسائلي حتى الآن. إن الله كبير وعليم مافي القلوب، وعلى عدم اهتمامك لرسائلي. يبدو أنك لاتصدق أنني سأصدر قراراً (فرماناً) على شعب ماتينه fermana Metinan بشأن الهجوم على بصرى، مدينتكم المفضلة العزيزة على قلبك كثيراً ... نعم سأدمرها. وإذا كنت لاترى أن بيروز تناسبني، فأنا سأخذها رغماً عنك ... ماذا تقول بعد ذلك؟.

ميرزا ميروز

* * *

قرأ شاول ماكس الرسالة بلهفة وغضب عارمين، ارتعب من اللهجة القاسية، فجأة نظر إلى والده وقال :كتبت هذه الرسالة بغطرسة المتكبر وعنجهية الواثق من نفسه... ليكن... المقاومة مفتاح الحياة. سنقبل تحديه السافر. فكر ماكس كثيراً. يعرف نفسه تماماً أنه ليس لقمة سائغة– سهلة أمام أمير برج ماتينه. الانسحاب عار عليه، وخاصة في موضوع الشرف. وسيجلب له الويلات. قال لابنه يائساً:

تسلحوا.. وزعوا السلاح على الشعب. جهزوا أنفسكم للمعركة القادمة... سنترك جثة ميرزو في البراري. أخبره برغبتنا. وارسل إليه رسالة تحدٍ.

* * *

غضب أمير برج ماتينه Birca Metina من الرسالة واللهجة القاسية. وفوراً أصدر أمراً بشن هجوم على بصرى الذهبية. اندثرت بانيا كاني هنار Baniya Kanihinar بين الأقدام، وامتلأت السماء بالرماح والسيوف، توافد الشباب والفتيان من تورجل Turcel، تركوا أماكنهم، وخيموا حول البصرى. تخندق الطرفان، وبدأت المعركة.

* * *

كان عشق الأمير ميرزو يطمئن عيون بيروز، التي كانت تلمع على سطح القصر، ويدق قلبها بحرارة العشق. لم تكترث لمصيبة شعبها وأهلها. لكن كانت قوة الأمير ميرزو مستمدة من رغبتها العارمة، وكانت تتباهى بقوة الأمير ميرزو لذلك تتحرك على القصر ذهاباً وإياباً، ويتموج الحرير على جسمها مثل أمواج البحر، وكأنها تداعب عواطف العاشق ميرزو، وتتمايل ذات اليمين وذات الشمال، يستمد من حركاتها قوة، ويقود الهجوم على والدها وأخيها. العاشق أمامها يحارب... يقاتل من أجلها هي.

خان الزمن الأمير ماكس... لم يعد يائساً، محتاراً، بل أصبح مهزوماً...

تدمرت مدينة بصرى الذهبية، وخسرت الفتاة بيروز مدينتها وأهلها. بعد المعركة لم يعش ماكس طويلاً، التجأ إلى الجبل... ثم مات قهراً.

* مجلة هاوار العدد 5 السنة 1932 الصفحة 6، 7.

البدر

اتكأت على المخدة بعد أن اسندت رأسي على يدي، ومددت قدمي اليمنى على الأرض، وكانت يدي اليسرى على ركبتي اليسرى، ثم غبت عن الوعي، لا، بل دخلت مدينة الاحلام والخيال.

عندما نظرت إلى الأسفل، إلى البحر، كانت نارية قوية تتراقص أمام عيني، ولا أستطيع أن أفتح عيني من شدة نورها، فترسل لهيبها إليّ.

نعم، كانت النار تشتعل في البحر، وترسل اليّ لهيبها الوهاج، هل يمكن أن يتذكر شيئاً في هذه اللحظة؟. رفعت رأسي ونظرت عالياً، وزع البدر بسمته، ومن شدة انبهار هممت، قال:

ـ أيها الولد الطيب، ألم تستطع أن تستيقظ من غفلتك؟ أنا أنتظرك منذ مدة طويلة... كنت بارداً فمنحتك دفئي وحرارتي، وأنقذتك من سكرات الموت. هيا، انهض واسدِ لي معروفاً... لدي شيء يجب ألا أخفيه عنك، لقد اسديت لك جميلاً، ولاتعتقد أنني قدمته لك، إنما من أجلي أنا...

نعم رأيتك، ولم أرك، تأخرت رغماً عني، اندهشت لرؤية وسامتك وقامتك. لماذا لا أبوح بالسر؟ فأنا لا أملك عقلاً، أيها الطفل المدلل، أنا انتظرك!

نعم، اذكر أنني كنت بارداً مرتجفاً، مرتعشاً.

لم يكن البرد بسبب الصقيع، أو بسبب الزوابع الثلجية، أو بسبب عواصف الرياح والأمطار، بل كان البرد من الوحدة، من الوحشة، من الفقر.

كان دمي متجمداً، يابساً، رد علي القمر وقال: أنا أملك قلبك... فانعقد لساني، ومازال القمر ينتظر جوابي، يا إلهي، كيف أجيب! حتى أجعل القمر مسروراً مثلما كان.

دبت الحركة في لساني، عندما أردت التكلم، لكن ماذا أرى! نعم رأيت غيمة سوداء من جهة الغرب والجنوب، غيمة سديمية، تجلجلت حتى وصلت إلى القمر، وكاد حلقي ان يغص بالكلام، شحب القمر، ثم اختنق.

استيقظت من الحلم.

آه... آه... ياجميلتي... يا خميلتي، يا عاشقتي، كيف تأتين إلى حلمي؟ صراحة لم يكن حلماً، أو خيالاً أو قمراً.

كانت حقيقة، حدثت لجميلتي وعاشقتي، وأنا أعرف الغيمة السوداء.

أيتها الغيمة السوداء المفسدة، أبعدت عني جميلتي، وتركتني في حيرة من أمري وغـص بـك حلقي، ولم تدعيني أكمل كلامي.

أصرخ الآن عالياً: خجول أنا، يا خميلتي... أفديـك بروحـي، وروحـي رخيصـة بـين يديـك العبي كما تشائين.

* مجلة هاوار العدد 6 السنة 1932 الصفحة 5، 6.

أليس كذلك أيها الشعب؟

وضعت ثيابي منذ مدة للغسيل عند الكاوي، واليوم، ذهبت لأحضرها.

كنت أحمل مجلة هاوار، فدخلت المحل، سألني الكاوي:

ـ ماذا تحمل معك؟

قلت بفخر كما كنت أقول لجميع الناس: إنها مجلة هاوار، مجلتنا الكردية. وقد كان جندي تركي يجلس في المحل، نظر إليّ، تمعن أكثر ثم قال بلغته:

ـ والله وبالله وتالله هذا كذب، كيف تكتب اللغة الكرمانجية، ومن هو الشخص الذي يعرف الكتابة؟

لقد كانت الكلمات التي تفوه بها الجندي التركي قاسية عليّ، وذات معانٍ عميقة، وبنفس الوقت تدل على سوء حظنا.

كدت أبكي، فبلعت البكاء، لأنني كنت أسمع مثل هذا الكلام من إناس كثيرين، لكن ماذا أقول؟ نحن المسؤولون عن هذه الأخطاء، وكذلك زعماؤنا ومتنورونا!

لو فسرت كلمات الجندي أستطيع أن أوضح الكثير من المعاني والدلالات، وسأضم هذا التوضيح في فقرتين فقط :

1 ـ إن الكورد الذين تعلموا، وتبوأوا مراكز عالية، عندما يلتفتون إلى وراءهم، ينظرون إلى الشعب، فيجدون أنه متخلف جداً، وليس بمستواهم، ومن المخجل أن يقول أحد منهم إن هذا الشعب هو شعبي لأسباب شخصية، وإن تجرأ أحدهم فيحاول أن يتبرأ: (أنا لست كردياً).

2 ـ بعد أن اعتنق الكورد الديانة الاسلامية، تمسكوا بها أكثر من الشعوب الاسلامية الأخرى، ودافعوا عنها حتى أصبح منهم مرشدون. وفي الوقت الذي كان الكورد ينظرون إلى المسلمين نظرة احترام واجلال وربما تقديس أنهم أخوة في الدين. فمن المؤسف أن المسلمين من غير الكورد لم ينظروا إلينا نحن الكورد بعين الرحمة بل استهانوا بحقنا، وقالوا: إن الكورد طائفة من الجن ومن النور، ولافائدة ترجى منهم والى تهم أخرى، حتى أن الدعاية أثرت تأثيراً كبيراً في شعبنا، لذلك ابتعد زعماء الكورد ومتعلموهم ومتنوروهم عن الكردية، وأصبحوا علماء ومتنوري الشعوب الأخرى وقدموا لهم التضحية والشجاعة.

* * *

ألف شكر وشكر لقـد استيقظ شـعبنا في كـل مكـان، وهـاهي مجلاتنـا وكتبنـا تصـدر بلغتنـا الكردية.

يجب على شبابنا أن يتعلموا العبر والحكم مـن الشـعوب الأخـرى كـي يتعـرف العـالم علـى الشعب الكردي، وأن يستيقظ الشعب من غفلته، ومجلة هاوار صرخة من تلك الشجرة.

* مجلة هاوار العدد 10 السنة 1932 الصفحة 2.

ربيـــع ديـريـك

يبدأ الربيع في ديريك من (25) شباط، وتستمر الرياح العاتية بل تزعـج الانسـان حتـى (15) آذار. ولولا وادي (زنار الأحمر) لما وجـدت سـوى الريـاح العاتيـة. تجلـب لنـا المطـر مـن البحـر الأبيض.

لو لم تكن الرياح القادمة من (وادي سيور) لما كانت هناك رياح أخرى. يبحث بل يحاصرهـا أطراف الجبال من الشرق والغرب والشمال مثل القمر ذي الليالي الثلاث.

توجد خلف هذه الجبال غابات جبل مازي، تستند مدينة ديريك إلى تلـك الجبـال، وتتجـه إلى صحراء عربستان.

* * *

عندما يحل الربيع، يجري الدم في عـروق جسـمي، وتـأتي معـه حيـاة جديـدة، نمشـي أنـا وطلاب المدارس ـ كالأسرى الذين افلتوا من السجون على وجه الأرض ـ بحريـة ونركـض باتجـاه المدى البعيد.

نتحلق حول اساتذتنا، يتعلق البعض منا برقبته ويديـه، ومنـهم مـن يقبـل وجهـه وعينيـه، يلتمس منه أن يتجول، ثم نمضي في طريقنا، هل نحن في المدرسة هنا أيضاً؟

لا. فنفترق عن بعضنا، يسحبنا اساتذتنا من تحت الصخور الكبـيرة كفـراخ الحجـل. غضـب الاساتذة هراء، بل يضحك معنا، ثم نصل إلى بستان ما، نجلس على مرج، ونفطر معـاً، وبعدهـا نبدأ باللعب، ومن مد يده إلى البستان هدده الاستاذ بعصاه، وحركها في وجوهنا، وقال لنا:

ـ لا أقول لكم لاتقطفوا ورود الناس، بل لاتدوسوا على زرعهم.

كان ينصحنا ويرشدنا: (لقد نصحتكم) لا. هذه ليست نصائح. لقد نصحنا في الربيـع المـاضي المفتش العمومي عارف عباس بل ـ يعمل اليوم في الحسكة كوجيه ومرشد في سبيل نضال شعبنا ـ نعم نصيحة لايمكن أن تنسى.

جمعنا عارف بك ذات يوم، ونصحنا، قال لنا هذه القصة:

ـ انظروا، إن الحياة جميلة مثل هذا الربيع، يريد القلب أن يعيش في هنـاء وسعادة، ويتـم هذا بالعمل الجماعي والمساعدة، انتبهوا جيداً، نصح ملك ابناءه وهو على فراش المـوت، فـأعطى لكل واحد من ابنائه عصا صغيرة، وأمرهم أن يكسر كل واحد عصاه بنفسه، فكسر الجميـع، ثـم جمع العصي في حزمة واحدة من جديد، وأعطى للأول والثاني والثالث، فلم يستطع أحـد منـهم

أن يكسر حزمة العصي بمفرده، عندئذ قال لهم: هكذا أنتم أيضاً يا ابنائي، يمكن كسركم بسهولة إن تفرقتم، لكن إن توحدتم جميعاً، فلا أحد يستطيع أن يكسركم).

عندما أنهى عارف بك كلامه، ودعنا بسعادة ثم مضى.

* مجلة هاوار العدد 13 السنة 1932 الصفحة 4.

عزاء خالي

حدث في 3 حزيران طوفان عجيب في سماء الكورد، فجأة سقطت نجمة أكثر إضاءة واشراقة، بل غضبت، وانحدرت في طريق اخرى، ولم تعد.

لذا نلاحظ أن الضياء قليل في عالمنا، وقد خيم الحزن على الكورد خاصة وضع المثقفين من جراء سقوط النجمة، وبقي الكورد مجروحين، (مثخنين بالجراح) وأنا واحد من أولئك الناس.

خيم الدخان والضباب على بساتين روحي، وامتلأ داخلي بالجروح والقروح والأشباح.

ترى ماذا حدث؟ ماذا يجري! لقد أفترق خالي عنا، افترق استاذي وموجهي،ودفن تحت التراب الأسود في عالم الظلمات، يا خسارة.. يا خسارة.

كان خالي عدواً لعائلتنا منذ القديم، لكن عندما وعيت على الدنيا، وأصبحت أميز الصالح من الطالح، أصبح خالي صديقي، لقد كان محباً للحركات والجمعيات، وكان والدي وأخي يخافان ألا أنقطع عنه أبداً، ومع ذلك ذهبت تهديدات أقربائي أدراج الرياح لا فائدة منها، كنت أحافظ على هذه الصداقة داخل روحي وكأنني أحافظ على روحي، وكان هو بدوره يحبني من كل قلبه.

ترى لماذا ترك وطنه الذي يشبه الجنة، وأيضاً الأميرات والأفراح والأتراح، وجاء الى هذه الجبال وأستقر في البرية؟ لم يراود خالي أن يسأل نفسه هذا السؤال. حبه للوطن جعل كل شيء لا قيمة ولا فائدة له. هيهات، لكن لم يوفقه الله. احرقته جمرة النار التي كانت في داخله تتأجج، راحت رغبته وهدفه معه إلى القبر.

لا. لا لم تكن رغبته، ولم يكن هو نفسه، لم يذهب سدىً إلى القبر، كانت رغبته، ورغبتنا ورغبة الجميع. إنه يعيش فينا، وسيعيش فينا حتى اليوم الأخير، لم ينحدر إلى القبر سدىً، لأن من يموت في طريق تحرير الشعب، ويدفن تحت التراب، ترتفع روحه إلى السماوات، وبنفس الوقت يعيش في قلوب الشعب.

كان الافندي في شبابه محباً للكردية أعلن صراحة في زمن ما عن الحركة الكردية في ديريك بحرية، وأصبح هو نفسه مسؤولاً عنها، اجتمع الأعضاء من كل الجهات، كان ذكياً لم يتجاوز الرابعة أو الخامسة والعشرين من عمره، عندما أصبح زعيم ثلاث عشائر، كان موظفو الأتراك ألعوبة في يديه. ساعد المرحوم شيخ سعيد في ثورته مع كثير من الآغوات والبكوات والناس الوطنيين والمقربين منهم وبعض رجاله، لكن لم يذهب الأفندي. التجأ إلى جبال مازي مع بعض رجاله، هجم على جنود (حراس) قرية شواش، أسر الجنود وبعض المدافع، وعندما اعتقل كمال فوزي بك سمع الأفندي أن الاتراك سيأخذون كمال فوزي إلى الاناضول عن طريق سيورك. أرسل

اخاه صالح بك بعد أن سمع الخبر –أصبح شهيد الشعب– مع بعض الرجال إلى سيورك، لينقذوا كمال فوزي بك من أيدي العدو، ولكن للأسف لقد أرسلوه عن طريق خربوط.

بعد مقتل الشيخ أخذوا ـ سروري العزيز ـ إلى محكمة الاستقلال (للاستجواب، لكن الله أنقذه من تلك المصيبة، ثم نفوه إلى الاناضول. لم يتوقف هناك مكتوف الأيدي، كان يرشد ويوعي أصدقاءه الجهلة، كان يجتمع مع اصدقائه، لذلك لم يستقر في مكان ما، لم يبق في مكان واحد يومين متتاليين، فقد كانوا يرسلونه إلى مكان آخر.

جاء إلى وطنه أيضاً بعد العفو، جمع الشباب حوله، وتعامل مع الحركات الكبيرة، وأنا كنت واحداً من الشباب الذين التفوا حوله، لم يكن يخبيء أو يستر أي شيء عنا، عندما جاء إلى سوريا، أخبرني بعض الأصدقاء، وكما كتبت مجلة هاوار، لم يتفق... توجهت إلى أسفل الخط (الجزيرة ـ سوريا)، وبعد قدومه انقذ أطفاله أنفسهم من الضياع.

لم تمضِ سنة، فقد تابعته أنا أيضاً. التقينا مع بعضنا في الحسكة صدفة، لأن ابن اخته قد قتل أحد أعمامي، كانت علاقاتنا فاترة (متوترة) قليلاً، لكن علاقتنا الكردية كانت حماسية قوية.

كان الأفندي دون شك رجلاً رائعاً، الرجال من امثاله قليلون، لذلك يتطلب على كل كردي شريف أن يعقد السواد والحزن، على وفاته، يرحمه الله، ويشمله برحمته.

* مجلة هاوار العدد 22 السنة 1933 الصفحة 6.

القسم

مضت الأيام، ولم أتذكرها جيداً، كانت مدرستنا مؤلفة من طابق واحد بدون إكساء. عندما يفتح باب الشارع يوجد دهليز ضيق ومظلم يؤدي إلى باحة كبيرة عارية من الاشجار. يوجد في الباحة برميل ماء صديءٍ كنا نتوضأ بمائه.

يلعب الفتيات والأولاد معاً ويدرسون معاً. كانت الخوجة الكبيرة تدرسنا وهي إمرأة طويلة، وخفيفة العقل. وكان الخوجة الصغير هو ابن الخوجة الكبيرة، مازال طفلاً.

كنت أجلس في آخر مقعد خلف الطلاب، كي لاتصلني عصا الخوجة الكبيرة. لذلك أطلقوا علي اسم الثعلب. وقد كان جميع الطلاب لهم ألقاب حسب طبيعتهم وتصرفاتهم واشكالهم مثلاً الذئب الشرس، جحر الفأر، البقار... الخ.

* * *

يوجد في المدرسة شكل من أشكال العقوبة، هي الفلقة، ولم تستطع الفتيات الكبار أن ينقذن أنفسهن من الفلقة، لم لايوجد أحد لم يخف ولم يرتجف من الفلقة. من كانت عقوبته صغيرة يستلمه الخوجة الصغير بالكفوف واللكمات ثم يأتي دور الخوجة الكبيرة، وتنهال عليه بالعصي حتى يسود جسمه ويتورم.

كنت أعاقب أقل من كل زملائي، فقد شدت الخوجة الكبيرة مرة أذني وآلمتني عدة أيام. ومع ذلك لم يكن لدي ذنب، ولم أكذب بل قلت الحقيقة.

كسر طالب ذات يوم صنبور برميل الماء الذي كنا نتوضأ منه، وأرادت الأم وابنها (الخوجة الكبيرة والخوجة الصغير) أن تعرف من الذي فعل هذه الجريمة؟، فالذي كسر الصنبور كان طفلاً صغيراً ضعيف البنية مريضاً.. هكذا قلت للخوجة الكبيرة. وكادت الخوجة أن (تضربه فلقة)، لكن الطفل الصغير كان ينكر فعلته، فجأة جاء طالب آخر الىالخوجة وقال: أنا الذي كسرت صنبور البرميل وليس هو). ثم تمدد على الأرض يستعد للفلقة، وبدأت الخوجة، ترفع عصاها وتنزلها بقوة، والطفل – الطالب يبكي ويتدخل إلى أن تجاوز عدد العصي 30 ـ 40 عصاً. ثم التفتت الخوجة الكبيرة علي وقالت:

(لماذا تكذب وتتهم زميلك زوراً وبهتاناً؟) عندها شدت أذني عدة مرات رفعتني عن الأرض..

بكيت وبكيت، لأنني لم أكذب، نعم مستو هو الذي كسر الصنبور، وقد رأيته بأم عيني ثم أخبرت الخوجة الكبيرة .

بعد أن خرجنا من المدرسة، رأيت ذلك الطفل الذي كذب على نفسه وتمدد على الأرض أمام الفلقة أمسكت صدره وسألته: لماذا جعلتني كاذباً، وكذبت علـى نفسك أيضاً، وعوقبت بدون سبب، أنت لم تكسر الصنبور.

قال: نعم أنا الذي كسرت الصنبور.

ـ لا. لم تكسره، مستو هو الذي كسر الصنبور، رأيته بعيني ثم أخبرت الخوجة الكبيرة لم يستطع أن يستر الحقيقة أكثر، نظر الي تأمل فترة ثم قال لي: إن عاهدت ولم تخبر الخوجة سأقول لك الحقيقة، عاهدته ألا أخبرها كانت لدي رغبة شديدة أن أعرف ماذا جرى. قال الطفل: نعم، مستو هو الذي كسر الصنبور، أعرف هذا، لكنه ضعيف جداً ومريض أيضاً، ألم تره؟ هل يتحمل الفلقة؟.

قلت: لماذا عوقبت بدلاً عنه؟

قال: لماذا؟ لأننا تعاهدنا معاً، وهو اليوم مريض، وأنا سليم الجسم معافى، وقد انقذته من العقوبة.

قلت: ما هي المعاهدة؟

قال: ألم تعرف؟

قلت: لا.

ابتعد قليلاً وقال: نمزج دماءنا ثم نلعقها سوية، ونتعاهد معاً أن نصبح أخوة في الدم ونساعد بعضنا حتى الموت.

لاحظت أن كثيرين من الأطفال تعاهدوا معاً وأقسموا اليمين.

رأيت يوماً هذا بعيني. كان الخوجةالصغير أمام البرميل يتوضأ، تدير الخوجة الكبيرة ظهرها لنا، وتصلي. كان الأطفال يجرحون أكتاف بعضهم بسكين لها مقبض خشبي، ويسيل الدم من الاكتاف ثم يلعقون الدم، ويقسمون اليمين معاً.

كان القسم واخوة الدماء هاجسي، لو كان لدي شقيق الدم لعوقب بدلاً عني عندما شدتني الخوجة من أذني ولم يترك أن تشد أذني وانقذني أحياناً من الفلقة. كنت أرى نفسي في المدرسة وحيداً، وكان لدي بعض الأصدقاء، لكن لم نتعاهد بعد ولم نكن أخوة في الدم.

أبديت ذات يوم رغبتي هذه لوالدتي. وذكرت لها عن قصة شقيق الدم. صرخت والدتي في وجهي وقالت: ربما جننت، لا أريد هكذا أطفال.

لكن لم أهتم بها، كان القسم (التعهد) هاجسي، وقد وضعته نصب عيني، أردت أن أختار من بين زملائي شقيق دم قوي، اهدتني مصادفة جميلة هذا الصديق. كان الأطفال جميعاً يجتمعون يوم الجمعة في بستاننا، كنا نلعب معاً حتى المساء، كان لدي صديق كنت أحب اسمه أكثر منه، كان يصارع أكثر الاحيان الذئب المفترس، والذئب المفترس اسم أطلقته الخوجة الكبيرة على (جمو)، وفعلاً كان جمو يشبه الذئب المفترس، كان يضرب الأطفال كثيراً، كان (سندك هافين) يجلب معه كل جمعة دزينة من عصي الصفصاف، وكنا نلعب بهذه العصى لعبة الحصان، ونخرج معاً إلى السباق.

ذات يوم من أيام الجمعة أحضر سندك معه حزمة من العصي، أخترت لنفسي عصا طويلة ومستقيمة وكنت أقشر قشرتها بسكين حادة، وكنت أحضّر لحصاني الأنف والأذن.

كان سندك وأصدقاؤه الآخرون ينتظرون السكين كي يحضّروا مثلي أحصنتهم. لا أعرف ماذا جرى وإذا بالسكين التي في يدي خرجت من بين القشور وأصابت الاصبع الصغرى من يدي اليسرى. وسال منها دم أحمر، خطرت لي فكرة القسم في ذلك الوقت. القسم. نسيت ألم أصبعي وقلت لسندك:

ـ هيا يا سندك، أنا جاهز، هيا اجرح يدك، كي نتعاهد معاً ونقسم اليمين على أن نبقى اخوة الدم نظر سندك إلى الأرض وتمعن فيها قليلاً ثم قال: هل يجوز هذا، يجب أن نلعق دماء زنودنا من أجل أخوة الدم.

قلت: لايهم... أليس دماً إن كان من اليد أم من الزند؟

قال سندك: (جميل) أخذ السكين من يدي وشمّر عن ساعديه ثم جرحه بعمق. كان دمه سميكاً لم يسل، تحول إلى نقطة، مزجنا دمائنا مع البعض. لعقت أنا أولاً، كان دماً ساخناً ومالحاً. ثم لعق هو دم اصبعي.

لا أذكر كم من الزمن مر على الحادثة... شهر أم سنة. كنت قد نسيت أنني وسندك أخوة في الدم، كنا نذهب معاً إلى المدرسة ونعود معاً، ذات يوم كان الجو حاراً، وتركتنا الخوجة الكبيرة في منتصف النهار قبل أن نكمل الدروس كأيام الخميس... كنا نعود أنا وسندك بهدوء إلى البيت، وضعت منديلي على رأسي، يسيل العرق من جباهنا، نسير في طريق ضيق وصغير. فجأة ظهر كلب أسود ضخم أمامنا، يلاحقه بعض الرجال بالعصي، صرخوا فينا وقالوا:

ـ تنحوا جانباً، سيعضكما...

خفنا ولم نعرف ماذا نفعل، قلت (هيا لنـهرب. أحمـرّت عيـون الكلـب كـالجمر في وجهـه، اقترب منا الكلب، قال سندك: (اختبيء ورائي) ثم تقدم إلى أمامي. هاجمه الكلب، رمى سـندك نفسه على الكلب، كالمصارعين مد كل واحد يـده إلى الآخـر وهـز بعضـهما، وقـف الكلـب علـى قدميه الخلفيتين. ثم وقع الأثنان على الأرض.

أستمرت المعركة طويلاً بالنسبة لي، كنت أرتجف خوفاً. وصل الرجال الذين كـانوا يلاحقـون الكلب، وضربوا الكلب بالعصي.

تخلص سندك، وسال من وجهه الدم، خـاف الكلـب ووضـع ذيلـه بـين قائمتيـه الخلفيتـين وخفض رأسه أرضاً وهرب مسرعاً. قـال لي سـندك: لاتخـف، لم يحصـل شـيء، الجـرح صغـير احتضن الرجال سندك وأخـذوه إلى بيتـه. وأسـرعت بـدوري إلى البيـت وأخـبرت والدتـي بـهذه الحادثة.

لم يأت سندك إلى المدرسة في اليوم التالي، قلت لوالدتي. هيا لنذهب إلى بيته يـا أمـي لـنزور سندك) لم توافق والدتي. كانت تقول سندك مريض لايجوز أن نزعجه كنت أذهب كل صباح إلى المدرسة على أمل أن أرى سندك، لكنه لم يأت... ولن يأتي. لقـد كـان الكلـب مسـعوراً، أخـذوا سندك إلى ديار بكر إلى الأطباء ومن هناك أخذوه إلى أسطنبول ثم سمعنا أن سندك قد مات.

كلما استيقظت في أيام الصيف من النوم ورأيت الصباحات الملونـة الجميلـة تذكـرت كجميـع الناس طفولتي. تراءى لي بلدي الاخضر الذي ولدت فيه، ودون علم مني سالت الدموع من عيـني على يدي اليسرى، أنظر إلى أصبعي الصغرى، الى الفقرة الوسطى، يظهر عليه أثر الجـرح الـذي حافظ على ألمي ندبة صغيرة وبيضاء، ومازالت حرارة شفاه صديقي المضحي تنبعث منها. يتراءى لي من ورائها ذلك الصديق الشجاع، الصديق الذي دفع حياته من أجل القسـم، مـن أجـل انقـاذ صديقه، صارع كلباً مسعوراً.

سالكين 1941/9/12

* مجلة هاوار العدد 35 السنة 1941 الصفحة 8، 9، 10.

الذنب

قرأت مرة في كتاب ما: (مهما كانت حادثة الرجل قديمة، تركت أثراً عميقاً في ذهنه...) رأيت أشياء كثيرة في طفولتي، واليوم أذكرها جيداً... لكن هناك أشياء حديثة رأيتها أو سمعت عنها أو جرت معي لا أتذكرها اليوم بسهولة.

ربما عندما كنا أطفالاً كان ذهننا صفحة بيضاء خالية من أي هموم، لذلك تتخذ الحوادث والذكريات مكانة لها بسهولة في ذاكرتنا، وكلما مضت فترة تركت الحوادث أثراً عميقاً في الذاكرة... هذه احدى الحوادث التي مرت معي عندما كنت طفلاً صغيراً.

انقضى الربيع، وبدأ فصل الصيف، كان كل شخص يهرب من حرارة الشمس، ويلجأ إلى ظل شجرة أو ظل جدار.

بعد مضيّ أشهر الدراسة الثمانية أغلقت المدارس أبوابها، كنت فرحاً جداً، ثمانية أشهر دراسة بين الضجيج والضوضاء، بين الجدران الضيقة والغرف المظلمة، لم يُصب جسدي بالروماتيزم فحسب بل كانت روحي أيضاً، تعفنت وتصدع قلبي.

عندما بشرنا أستاذنا ببداية عطلة الصيف، لم أفرح وحدي بل جميع طلاب المدرسة كانوا فرحين، ويرمون قبعاتهم باتجاه السماء دلالة على الفرح وقالوا: (يعيش الاستاذ، يعيش الاستاذ)!

لقد بكى ثلاثة أو أربعة طلاب فقط كانوا قد رسبوا في صفهم، وكانوا خجلين من الاستاذ وزملائهم، وقد كانوا يخافون من أهلهم أيضاً، تنهمر الدموع من أعينهم. تأثرت لبكاء هؤلاء الطلاب ولأوضاعهم.

* * *

مضى وقتٌ على اغلاق المدرسة، لم أتذكر جيداً، ربما شهر أو شهران ونصف كنا أنا وبعض اصدقائي نقفز من صخرة إلى أخرى، نبحث عن أعشاش الطيور نجتاز الوديان والسهول ونلاحق صغارها التي لم تستطع الطيران بعد، ساعات طويلة، كنا نمسك فراخها الصغيرة التي لاتستطيع أن تعبر عن غضبها بغير الزقزقة، وتموت بين أيدينا، كنا نلعب بها.

كنا نتجول أحياناً حاسري الرؤوس، وأخرى حفاة ورغم ذلك نفرح كثيراً، كانت ثيابنا وأحذيتنا وقبعاتنا تعيق حركتنا فنتخلى عنها بأي شكل ونتحرر منها.

كانت الأشواك تغرز في اقدامنا وسيقاننا، والاكمة تجرحنا ولم نكن نبالي بشيء أو نهتم به، يسكرنا اللعب والتحرر والحرية.. نسمع الشتائم من أهلنا أحياناً كثيرة كذلك ولا نهتم.

بعد ثمانية أشهر من الدراسة وحياة السجن الالزامي بين جدران المدرسة، نستحق، هذه العطلة الصيفية بل من حقنا أن نقضيها ولايحق لأحد أن يمنعنا منها.

ذات يوم توحدت كلمتنا نحن الأربعة أصدقاء واتفقنا: سنذهب إلى المغارة، إلى صيد فراخ الحجل... تبتعد المغارة عن قريتنا ثلاث أو أربع ساعات، كان الحجل وفراخه تلجأ إلى ظل تلك المغارة من شدة حرارة الصيف، ويوجد في المغارة نبع ماء، فالمغارة ملجأ الجان والأشباح. سمعت ذات مرة من جدتي أن المغارة عاصمة ملك الجان والاشباح، لا أحد يتجرأ أن يدخل إلى المغارة، حتى الكبار لم يتجرأوا على الدخول إليها. لكن الطفولة ورغبة الصيد أنستنا الجان وكل شيء... كنا نريد أن نظهر رجولتنا للمرة الأولى ونقتحم المغارة دون خوف، ونصطاد فراخ الحجل في مغارة الجان والاشباح.

توقف رشو ورمو أمام باب المغارة، دخلت أنا وجمو إليها، أمسكنا بصعوبة بالغة أربعة من فراخ الحجل، كانت صغيرة لاتستطيع الطيران. كنا فرحين جداً وكأننا استولينا على كنوز الدنيا بل أكثر من ذلك، وفي الحقيقة تعبنا قليلاً، كانت أمام باب المغارة شجرة توت كبيرة، جلسنا تحتها، كي نرتاح قليلاً ونفرح بصيدنا... كان جمو يريد أن يشرب الماء فقد نال منه العطش، وهمّ أن يدخل المغارة كي يشرب الماء، لكنه لم يتجرأ أن يدخل وحده، عرفت أن كبرياءه يمنعه أن يقول لي: ادخل معي إلى المغارة، لا أتجرأ على الدخول وحدي. وعرفت أنه سيدخل بمفرده، خطرت لي فكرة طفولية خبيثة، أردت أن أجرب شجاعته. تواريت عنهم ودخلت المغارة، لم يشك أحد من زملائي ولم ير أحد أنني دخلت المغارة. اختبأت في زاوية ما، رأيت أن جمو يدخل المغارة بهدوء والخوف يسيطر عليه، كانت المغارة مظلمة وجمو لم يشرب الماء بعد: عندما اقترب مني، فجأة صرخت بصوت عال وقلت: بخ..بخ. هيهات... فكر جمو أن الجن يلاحقونه، التفت جمو خائفاً ثم سقط على الأرض، ولم يعد يتكلم، صرخت عليه عدة مرات لكنه لم يجب ولم يرد علي، فتح عينيه عدة مرات فقط ونظر إليّ بخوف. همد بريق عينيه الخضراوين في ظلمة المغارة، عندها فهمت أنني أجرمت بحقه، ذهبت إلى الأصدقاء وقلت لهم: تعالوا ماذا جرى لجمو؟.

ذهبنا ثلاثتنا إليه، حاولنا كثيراً أن نحركه من مكانه لكننا لم نستطع، كنا جميعاً أطفالاً، ولاتتجاوز أعمارنا ثماني سنوات، سمعنا صوت ناي حزين من بعيد، لابد أن هناك راعياً يعزف عليها، بقي رشو ورمو مع جمو، توجهت إلى صوت الناي، وصلت إلى الراعي بعد فترة وقلت له ماجرى لنا. كان الراعي قريب جمو من بعيد، سلم قطيعه لصديق له، وجاء معي إلى المغارة،

حمل جمو على ظهره وعدنا جميعاً إلى القرية. مازال جمو لايستطيع التكلم، وخبأت فعلتي بل جريمتي حياءً، حتى أنني لم أخبر أصدقائي الحقيقة.

كيف نعود إلى القرية؟ ماذا يقول أهل جمو لنا؟ ماذا نقول لأهلنا؟ كنا نذهب مضطربين ونفكر. انتشرت قصتنا بسرعة في القرية. سجنني والدي في البيت، سمعت أن أصدقائي الآخرين مثلي قد سجنوا في البيوت. مازال جمو لايتكلم. كل واحد كان يقول: جنيّه شيطاني وليس رحمانياً، وكان الجميع يخافون من نهاية جمو إلا الشيخ صدقة.

كان الشيخ صدقة يعرف الجن والأشباح، ذلك العجوز الذي فعل فيه الزمن حتى انحنى ظهره، كان مشهوراً يقولون إن أصله من مكة أو من المدينة. سمعت أن الشيخ قال لوالد جمو: إن أعطيتني عشرة قطع ذهبية (خمسة قطع الآن، وبعدها خمسة) فسأشفي ابنك... وافقه والد جمو وقال له: إن اشفيت ابني فسأقدم لك كل ما أملكه...).

اعتقد كل واحد أن الشيخ سيشفي جمو من مرضه، كنت الوحيد لم أصدقه، كنت أعرف مرض جمو أكثر من الشيخ.

عندما أخذوا جمو إلى الشيخ، طلبني الشيخ معه وسألني عدة أسئلة: عندما دخل جمو إلى المغارة كم كان يبعد مكان سقوطه عن الزاوية اليسرى، وكم كان يبعد من الزاوية اليمنى؟ كان ينظر إلى كتابه ويكتب بقلمه يضع رسومات ويضع نقاط عليه ويهز رأسه ثم يقول: فهمت... من أين ضربه الجان... هذا جن شيطاني، يقولون له: (بولوتوخ).

ثم كتب على أظافر أيدي وأقدام جمو بقلمه بعض الأشياء وقال: (سجنت الجن في جسمه، لن أتركه حتى أقتله أحضروا لي حزمة من العصي الرطبة).

أحضر غلامه (دلو) حزمة من عصي الرمان الرطبة، حمل أقدام جمو ورفعها عالياً، وكان الشيخ يضرب أقدام جمو البائس وتنكسر العصي، ارتفع صراخ جمو الذي لم يستطع التكلم حتى ذلك الوقت عالياً، كان الشيخ يقول: (هذا ليس صوت جمو، لم يتكلم بعد) وبدأ الشيخ يضرب ويقول: (يا عفريت... يا شيطان... أين ستهرب مني) وبلغة الجان يسأل بعض الأسئلة. تيماتم... تناتن... شن... شن. سال الدم من أقدام جمو البائس، عندما كان يضرب جمو، يصعقني كالبرق، لم أتجرأ أن أقول الحقيقة. لم يمض النهار، مات جمو البائس من شدة الضرب.

* * *

مضت على هذه الحادثة عشرون سنة أو أكثر. ولم أزل أذكرها، أصبحت لي مصيبة، تضخمت في داخلي كعقدة وأحدثت جرحاً في قلبي... جرحاً عميقاً. يزداد كل سنة ألمها، تهتز روحي من أجلها... أرى جمو أكثر الاحيان في حلمي، يقف أمامي ذليلاً منكسر الخاطر ويقول لي مشتكياً: خيانة... خيانة.

*مجلة هاوار العدد 39 السنة 1942 الصفحةس 6، 7، 8.

الأيام الماضية

ابتعدت عن عامودا بعد ثلاث سنوات من حياة المرارة والفرح. تحلق بعض اصدقائي الأوفياء وتلاميذي الأمناء حول سيارتنا. لم أرَ بعض الزملاء، يعلم الله! لم يكونوا خائنين، ربما لم يأتوا حتى لايروا مشهد الفراق والوداع المؤثر، ربما لايستطيعون أن يتحملوا هذا .

ضممت الاصدقاء والدموع تنهمر من عيوننا، شددنا أيدينا بحرارة وقلوبنا تقول: (سنبقى دائماً أصدقاء وأخوة).

عندما تحركت السيارة، سالت دموعي بدون شعور مني، من جهة لفراق أصدقائي ومن جهة أخرى بسبب ألم الجرح الذي كان في مؤخرتي إنه يؤلمني كثيراً، كانت روحي تهتز، لم أعرف أن ألم هذا الجرح يطول كثيراً. ترى ماذا كتب القدر لي؟

مضت الأيام بحلوها ومرها في مدينة عامودا. أرى نفسي في النهاية قبيح المنظر. عندما كنت أذهب إلى المدرسة وأعود إلى البيت كان يوجد على الطريق كلبة وجروان، كانت الكلبة تعوي وتهجم علي، وكان أحد الجروين ذئباً وأعور، ومحروق الوجه والجرو الآخر مدور الوجه. يبدو أنه مصاب بمرض الزهري. كان ينبح فيخرج صوته مثل السلحفاة التي غصت باللبلاب.

كان هذان الجروان يريدان أن يقطعا طريقي دائماً. لم أكن أهتم بهما. لم أتذكر يوماً أن أرمي بعض الطعام لأتقي شرهما.

في يوم من الأيام هجم فجأة علي جرو، ربما كان أعمى وعضني من مؤخرتي. طلب مني الأطباء أن أغيّر الجو. وأشاروا علي بمنطقة (عين ديوار) خرجت سيارتنا بهدوء وعلى مهل من عامودا، ثم أسرعت. رفع الأصدقاء أياديهم حتى غابوا عن نظري. كانت السيارة تسرع كلما تقدمت. كان من الجهة اليسرى للطريق جبال كردستان ومن الجهة اليمنى سهول الجزيرة، وسيلان سبخة عربستان، وكان المطر ينهمر رذاذاً. كان السائق يقول: (أدعو الله ألا يسقط المطر بغزارة حتى نصل إلى القامشلي. حفظنا الله من الوحل والفيضانات، مازال المطر خفيفاً. عندما وصلنا إلى القامشلي كان الماء يبلل وجوهنا. ذهبت للطبيب لينظف جرحي ويضمده من جديد فأعطاني بعض الأدوية. وصلنا إلى ديريك في اليوم التالي، نزلنا عند صديق لي. كانت أحلام تلك الليلة مرعبة ومخيفة حتى أنني استيقظت مراراً فزعاً، وجرحي مازال يؤلمني.

في الصباح فتشنا عن سيارة لكننا لم نجدها. فركبنا الأحصنة ولجأنا إلى منطقة (عين ديوار). وصلنا بعد ساعتين، استقبلني هناك ثلة من الشباب منهم فتاح ملا صادق ومحمد ملا أحمد، صافحوني بفرح وحماس وشدوا على يدي بحرارة.

وصلت إلى عين ديوار في الأول من آذار كان كل واحد يقول لي: حظك جيد أن تأتي في بداية الربيع، ربيع عين ديوار مثل ربيع زوزان (مصايف) كردستان. وكلما صادفت شخصاً يكرر علي بهذا الحظ وهذه النعمة، لكن للأسف لم يكن هكذا، لم يكن حظي جيداً! فقد انهمر المطر شهراً وثلاثة أيام ليلاً ونهاراً. ما إن وصلت الى المدرسة حتى واجهتني ألف مشكلة. طلاب المدرسة مثل طلاب عامودا، غالبيتهم كانوا من الكورد. لذا تعرفنا على بعضنا، وأحببنا بعضنا بسرعة.

خلال شهر لم أستطع رؤية شيء حولي، المطر دائم في الليل والنهار. أصبنا بمرض الروماتيزم وتصدأ داخلنا، وكان مرضي ينازع، لم أصدق أن جرحي سيشفى.

بعد شهر أشرقت الشمس من جديد، واخضرّت الأعشاب، وتفتحت الورود والأزهار الملونة. هذا هو ربيع عين ديوار، ربيع وطني. في الجهة المقابلة تشمخ جبال جودي، موطن النبي نوح وجنوبها يجري نهر دجلة، أمام النهر تظهر جزيرة بوطان موطن مم وزين.

هذه الأوابد التاريخية الثلاث تحفر في نفسي آثاراً عميقة. وتربط روحي بتراب تلك المنطقة. كان الأصدقاء والزملاء يقولون لي أيام المطر: لاتتضايق سيتوقف هطول الأمطار اليوم أو غداً، بعد ذلك سيأتي الربيع، سنذهب إلى جسر بافت Bafet للتنزه سترى أنه مكان جميل.

خرجنا في نزهات جميلة. وذهبنا يوماً إلى جسر بافت فأخذنا الطعام وقضينا وقتاً رائعاً. يقولون أن هذا الجسر بني في زمن الأمير محمد بك دست. إنه مكان رائع يجري دجلة تحت أقدامنا ويلوح برجا بلك Birca Belek أمامنا. وتذوب الثلوج شيئاً فشيئاً عن جبال جودي. بقينا حتى المساء. كان الصديق الجميل والبشوش دائماً محمد ملا يقرأ اجزاء من ديوان الجزري الحزين. يفعل كما الشحرور يشدو بحرية وانطلاق.

عندما تم اغلاق المدارس للعطلة الصيفية فرحنا للراحة التي ننشدها بعد عناء ثمانية أشهر وحزنت لأنني سأعود إلى دمشق. كان يحز في نفسي أن أترك أصدقاء عين ديوار وعين ديوار نفسها. فقد قال شاعر: (عندما يبقى المرء في مكان ما، فإنه يرتبط بالانسان وبتراب المنطقة بخيوط خفية وعندما يريد أن يغادرها تشد هذه الخيوط قلب المرء وتؤلمه). هذا حقيقة لا انكرها.

عندما خرجت من عين ديوار مثل يوم خروجي من عامودا. فقد شعرت بغصة في حلقي وامتلأت عيناي بالدموع.

تمر الأيام والشهور بسرعة هائلة. فقد مضى على بعدي عن تلك الأماكن وأولئك الأصدقاء سنتان. لم أعد أخرج بل انظر حولي فأرى بدلاً عن جبال جودي سراباً خادعاً.

لم أجد صديقاً يملأ الفراغ الذي تركه محمد ملا ـ جعل الله روحه في جناته ـ والذي تركه تلميذي برو ورمو. ومن ذكريات تلك الأماكن بقي شيء واحد معي آثار أسنان ذلك الجرو في مؤخرتي، الجرو الذي لا صاحب له، الجرو الفلتان.

الجديدة 10 ـ 11 ـ 1942

* مجلة هاوار العدد 52 السنة 1943 الصفحة 9، 10.

كلاب المصايف

إن قصة كلاب المصايف ليست قصة وهمية، ولا هي خيالية ورغم ذلك لم أرها بعيني، بل سمعتها من شخصين، فالاول يدعى صلاح بك رمضان من بلدة الزبداني، والآخر يدعى داوود أفندي من أشرفية القنيطرة.

جرت العادة منذ القديم، أن تأتي الأغنام من كردستان إلى سوريا وفلسطين وقد تصل إلى مصر أحياناً، إن اغنام كردستان تلقى رواجاً في أسواق تلك الدول، كانوا يطلقون عليها، الاغنام البنية.

جاء تاجر ذات مرة مع اغنامه من أرضروم إلى سوريا، وبقي فترة في الزبداني، وقد كان الشتاء قاسياً في تلك السنة، حيث تساقطت الثلوج بكثرة، ولم يستطع التاجر أن يخرج بأغنامه من الزبداني، لذلك اضطر أن يبيع أغنامه في البلدة إلى مضيفه، وكان مع التاجر كلب المصايف يحرس الاغنام من اللصوص والذئاب، تثاقل المضيف على ضيفه وطلب منه الكلب أيضاً، خجل الضيف أن يرد مضيفه خائباً، فقدم كلبه الرصاصي اللون الكبير الذي يرد الذئاب عن القطيع، وعاد إلى وطنه ارضروم.

كانت الغابات والادغال التي تحيط بالزبداني في ذلك الوقت، مأوى الذئاب والوحوش وبعض الحيوانات البرية الأخرى. وكانت الذئاب بدورها لاتدع أغنام البلدة ترعى بأمان... وبعد أن ظهر كلب المصايف هناك، لم تتجرأ الذئاب والحيوانات المتوحشة الاقتراب من القطيع كبر الكلب وشاخ بعد عدة سنوات ولم يستطع أن يرد الذئاب عن القطيع. اجتمعت الذئاب ذات مرة على كلب المصايف بين الغابات والادغال، وكاد أن يودي بحياة الكلب، وعندما عاد الكلب إلى البيت رأى صاحبه الجديد الكلب ملطخاً بالدم، مثخن الجراح، ومازال الدم ينزف من جروحه، غضب صاحبه كثيراً ثم ضمد جراحه.

ضاع الكلب في اليوم التالي، فتش صاحبه عنه كثيراً لكنه لم يجده، قال لنفسه: ربما مات في مكان ما بجروحه المتقيحة.

فجأة وجد صاحبه أن الكلب ظهر ثانية بعد شهرين، لكن لم يكن وحيداً هذه المرة، فقد جر معه كلبين آخرين أكثر قوة منه، كانا يشبهان الكلب العجوز تماماً حتى أن لونهما يشبه لون الكلب العجوز، فرح صاحبه كثيراً، ولو كان لديه اجنحة لطار من الفرحة. نحر الرجل خروفاً لضيوفه الكلاب، ووضعه أمامهم.

استراحت الكلاب الثلاث في تلك الليلة، وفي الصباح الباكر تقدم الكلب العجوز ووراءه الكلبان الضيفان القويان إلى مأوى الذئاب، حيث الادغال والغابات ـ يعلم الله أن لهذه العملية حكمة.

اتجهت الكلاب الثلاث إلى الوديان... إلى مأوى الذئاب... تقدم الكلب العجوز إلى الوادي وحيداً، وتأخر الاثنان ينتظران. هجمت الذئاب على الكلب العجوز... فجأة انطلق الكلبان القويان كالبرق إلى الذئاب ـ يبلغ عدد الذئاب (50) ذئباً ـ وبدأت المعركة، معركة حامية، وأخيراً تغلبت الكلاب على الذئاب وخاصة القويان... كانا يرميان الذئب تلو الآخر طريحاً... وثأرا للكلب العجوز. ثم عادت الكلاب إلى البيت، وكان الدم يسيل من أفواههم، نحر الرجل خروفاً آخر بفرح وفخر.

بعد عدة سنوات من تلك الحادثة، جاء الارضرومي إلى الزبداني ثانية، وروى له الزبداني قصة كلبه بفخر واعتزاز.

قال الارضرومي: نعم، كل مارويته كان صحيحاً، لأن الكلب عجوز، لايستطيع أن يتغلب على كل الذئاب.

وفي يوم ما ظهر جروان للكلب، ثم اختفى الكلبان القويان، وقد كان القويان أولاد كلب المصايف، وبعد ثلاثة أشهر مات كلب المصايف العجوز وبقي الجروان.

* مجلة روناهي العدد 14 السنة 1943 الصفحة 11.

كُلجين

كُلجين ابنة نورس بك وهي الابنة الوحيدة والبكر أيضاً لوالديها... لذا كبرت وترعرعت في عز ودلال، فقد كانت كُلجين جميلة جداً لها قامة هيفاء، وشعر أشقر ذهبي، وعيون خضراء، تبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، اشتهرت بجمالها بين الأهل والعشيرة، وكان الشباب يعشقونها كثيراً، لكن لم يتجرأ أحد أن يتقدم لخطبتها من والدها خوفاً على شعورها.

كان نورس بك من وجهاء مدينة نول Nol ومن أغنيائها وبنفس الوقت رئيس العشيرة، كان رجلاً مجرماً وسفاحاً. كل شخص يكرهه لأن أحداً لم يسلم من شره، ويلوكون سيرته في الأماكن بالسوء، ويترصدون لايذائه والايقاع به.

يعتبر سيدو آغا عدوه الأول، وهو أيضاً من وجهاء ورؤساء العشيرة، ومن مؤسسيها، وهو الذي كان يزعج نورس بك ولم يدعه يهنأ حتى في نومه أيضاً.

كان نورس بك يعرف تماماً أن مكانته تهتز، وإن استمرت هذه الحالة أكثر، فسيخسر العشيرة والممتلكات أيضاً. كان يتوجب عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة التي تزعجه، يفكر ليلاً ونهاراً عسى أن يجد حلاً، وأخيراً وصل إلى نتيجة ترضيه وتخرجه من المشكلة، قال لنفسه:

ـ إن أصبح سيدو آغا صهري فلن أخاف منه بعد اليوم، ولن يزعجني بشيء.

قدم نورس بك ابنته المدللة كُلجين إلى سيدو آغا، وقبل سيدو آغا هدية نورس بك برحابة صدر، وتقدم لخطبتها. لقد تصالح الآغوات والبكوات. خطب سيدو آغا كُلجين ابنة نورس بك، وألبسها خاتم الخطبة، واشترى لها ذهباً، ووزعت كؤوس الشراب. وتحدد موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر، وستكون كُلجين زوجة سيدو آغا.

لم يسعد نورس بك في نومه منذ مدة طويلة، أما اليوم فسيضع نورس بك رأسه على المخدة للمرة الأولى دون خوف أو قلق بعد هذه المصالحة... وينام قرير العين، لقد نام فعلاً في هناء.

ماذا جرى لكُلجين المسكينة؟ اسودت الدنيا أمام عينيها، كانت ترى كل شيء اسودَ مظلماً، الشمس والقمر والضياء، كيف ستصبح زوجة سيدو آغا؟ إن لم يبلغ سيدو آغا خمسين سنة من العمر، فلم يكن أقل من خمسين سنة، ومازال على وجهه آثار مرض الجدري، وله عين بيضاء. وعلاوة على هذه العلل والعجز، كان له ثلاث زوجات، وقد تزوجت ثلاث من بناته اللائي يكبرن كُلجين أيضاً.

الأمل هو الذي يجعل الانسان يستمر في الحياة، لولا الأمل لانعدمت الحياة على الأرض، وإن انعدم الأمل، فلا يستطيع الانسان أن يعيش مع الشكوى والمرض والألم في هذا العالم، حتى

القاتل أو المحكوم عليه بالاعدام الذي يجرونه إلى حبل المشنقة يأمل في انقاذ نفسه، يستعطف الآخرين من خلال ملامح وجهه يستثير شفقة الناس كي يعفو عنه الملك أو يصدر قراراً بعدم شنقه.

مازال الأمل يسيطر على كُلجين، وأرادت أن تنقذ نفسها من هذا القدر المكتوب على جبينها وتصنع قدرها بيدها، وتنقذ نفسها من الحظ الأسود.

لم يبق لكُلجين سوى العجوز بيزى، وهي عجوز ساحرة، أعادت كثيراً من الفتيات إلى أهلها بقوة السحر، وردت العرسان وفسخت الخطوبات، وبفضل السحر قربت قلوب آلاف الشباب والفتيات وشاركت في طلاق الكثيرين من الازواج.

التجأت كُلجين إلى العجوز،لاذت بها، أمسكت بطرف ثوبها وقبلت يدها، وروت ما حدث لها: (أيتها العجوز، أتمنى أن تنقذيني من نار الجحيم، وما تطلبين من المال ستقدمها والدتي لك، وهي أيضاً لاتريد هذا الزواج). فكرت العجوز فترة ثم قالت لها: يجب أن آخذك إلى الشيخ يا ابنتي، إنه الشيخ شفقت Sefqet ، هو الذي يستطيع أن ينقذك من هذه المصيبة.

اتفقتا على يوم محدد للذهاب إلى الشيخ.

قدمت العجوز بعض النصائح إلى كُلجين قبل أن يذهبا إلى الشيخ قالت: (إن الشيخ من عائلة النبي، يتوجب عليك أن تتوضئي قبل أن تزوريه، إنه يعرف روح الإنس والجن، كلامه جواهر، وفي أقواله حكم قدسية، إن قال لك كن فيكون، قد يكون لكلامه هذا حكمة، يجب ألا تفكري بالسوء وتحملي قلباً طاهراً، كي يعرف الشيخ رغبتك، ويحقق أملك).

حفظت كُلجين نصائح العجوز، وعندما دخلت إلى خلوة الشيخ، قال الشيخ:

ـ أنت عجوز بيزى لم تأتي إلي منذ عدة أسابيع، أين كنت، وماذا جرى لك؟ أعتقد أن أختك حلت ضيفة عليك، أليس كذلك؟

قبل أن تجيب العجوز على أسئلة الشيخ، نظرت إلى كُلجين وهزت رأسها منتصرة، ثم ردت على الشيخ وقالت: هذا صحيح ياشيخي، جاءت أختي لزيارتي، عدة أيام، لذا تأخرت عن زيارتك.

قال الشيخ: لايهم! أليست هذه ابنة نورس بك؟

قالت كُلجين: نعم.

هرعت كُلجين وقبلت يد الشيخ بحياء واحترام.

قال الشيخ: كرامة لله الذي في السموات والأرض يا أبنتي، عليك أن تتطهري، وتصلي، ليس لأجل مجيئك. نظرت العجوز مـرة أخـرى إلى كُلجـين وهـزت رأسـها باعجـاب، وكأنـها تذكـر كُلجين بنصائحها وواجباتها، أما كُلجين فقد كانت ترتجف معجبة بمعرفة الشيخ.

قال الشيخ: لا حاجة لك أن تكـرري لي مصيبتـك يـا أبنـتي، أنـا أعـرف جرحـك وألـك، لم يخبرني أحد أعرفها بنفسي، لاتقلقي، لاتقلقي، أنا والدك، سأنقذك من الكلب المنخور.

لم يسمح عمر الشيخ أن يقول لأي فتاة كبيرة (أنا بمثابـة والـدك يـا ابنـتي) لأنـه لم يتجـاوز الثلاثين أو خمسة وثلاثين عاماً، لكنه نصب نفسه لهـذه الأبـوة لمكانتـه الدينيـة كشـيخ، لـذا لم تتضايق كُلجين من كلامه، سيما وأن الفتاة قد اقتنعت به تماماً.

كان على العجوز أن تخرج، وفعـلاً خرجـت، وتركـت الشـيخ والفتـاة في الخلـوة وحدهمـا، خرجت العجوز من الخلوة كي لايدخل أحدٌ دون اذن ويفسد السحر وفي نفس الوقت كي لايسمع أحد أن كُلجين جاءت مع العجوز إلى الشيخ. مسد الشيخ يده على رأس كُلجين عدة مـرات، ثـم وضع يده على جبينها، انحدرت اليد بكل هدوء إلى الأسفل واسـتقرت علـى عينيـها ووجهـها، أمسك بفكها السفلي وهزها، كانت كُلجين واقفة كالتمثال دون حراك، تأثر الشيخ لوضعها، قبّل جبينها كوالدها ثم عينيها واستقر فمه على فمها.

انتاب كُلجين احساس بالخجل من رحمة الشيخ، ولم تعرف كيف تشـكره، ظلـت صامتـة، لابد أن الشيخ قد وجد وسيلة لانقاذها من نار الجحيم، وهذه مـن الأمـور السـهلة لـدى الشـيخ، يستطيع أن يستحضر روح سيدو آغا إليها، ويأمرها أن تبتعـد عـن طريـق كُلجـين، يسـتطيع أن يجعل الفتاة قبيحة في نظر سيدو آغا، لديه الخطط الكثيرة.

أخذ الشيخ قطعة من الكلس في يده، ثم رسم دائرة على الأرض، دخل مع كُلجين إلى الدائرة وقال لها: لاتخرجي مـن الدائـرة يـا... سأسـتحضر روح سـيدو وأخـدره. بقيـت كُلجـين داخـل الدائرة، ثم وضع الشيخ بخوراً على النار، وذهب إلى خلف الستار، بقي فـترة. وعندمـا امتـلأت الخلوة بدخان البخور، وأسودت الغرفة، صبغ الشـيخ جسـمه ببـودرة فوسـفورية بسـرعة، وقـد كانت الخلوة مظلمة من شدة دخان البخور كاد أن يتحول إلى أزرق.

لم تخرج كُلجين من الدائرة، فجأة صرخ الشيخ بصوت جهوري عال: يا هو... وقفز من وراء الستار، فتحول جسمه إلى نور وضياء، ارتجفت كُلجين رهبة لصراخ الشيخ، وفزعت، لكـن كـي تتخلص من سيدو آغا، ومن نار الجحيـم، وضعـت كـل شـيء نصـب عينيـها التعـب والخـوف والتضحية.

أسرع الشيخ ودخل الدائرة، كانت الدائرة صغيرة وضيقة، كي لاتخرج كُلجين منها، فالتصق الجسدان ببعضهما كقالب واحد. مد الشيخ يده إلى روح سيدو آغا وسحبها، لمعت يده النورانية كالبرق في الليلة المظلمة، وأضاءت. ثم حضن باليد الأخرى كُلجين، وضغط عليها كي لاتخرج من الدائرة، ويبطل مفعول الطلاسم، كان الشيخ يتكلم مع روح سيدو آغا ويأمرها. لم تعارض روح سيدو آغا أوامر الشيخ فاستجابت لأوامره كل شيء يسير في طريقه الصحيح. هكذا أخبر الشيخ بل بشر بها كُلجين، ثم ضغط على الفتاة من شدة الفرح في حضنه، وقبّل عينيها ووجهها واستقر الفم على فمها .

لم تتكلم كُلجين ولم تعارض. قال الشيخ: انزلي السروال الداخلي يا ابنتي. نسيت كُلجين نصائح العجوز بيز في تلك اللحظة، وكأنها استيقظت من غفلة طويلة، نظرت إلى نفسها والى الشيخ، ماذا يريد الشيخ منها؟ لقد فكرت كُلجين بكل شيء كي تتخلص من نار الجحيم، من سيدو آغا، وتستطيع أن تضحي، لكن ليس بشرفها. فهمت كُلجين نوايا الشيخ وماسيجري لها خلال ثلاث ثوان، بصقت في وجه الشيخ من فورها، وندت منها صرخت لاشعورية، سمعت العجوز صراخ كُلجين ودخلت فوراً.

قال الشيخ: أيتها العجوز:... ماهذه المجنونة التي أحضرتها إليّ؟

ارتمت العجوز على أقدام الشيخ راجية متوسلة وقالت:التوبة، لأكن جاريتك... التوبة... استغفر الله العظيم. ثم التفتت إلى كُلجين وقالت: ماذا فعلت يا أبنتي، هيا توبي بسرعة، ألم أقدم لك النصائح؟ يقول لك الشيخ انزلي السروال الذي كان على الحبل في الأعلى كي يحبس فيه روح سيدو آغا.

عندما نظرت كُلجين إلى الأعلى، رأت فعلاً أن السروال معلق على الحبل، عندها فهمت أنها كانت مخطئة، وارتمت أيضاً على أقدام الشيخ، تطلب التوبة، واستغفرت الله، لكن الشيخ الجليل لم يقبل توبتها إلى أن تدخلت العجوز، وتوسلت للشيخ مرات عديدة. على ألا يتكرر هذا الخطأ مع الشيخ ثانية، ثم عفا عنها الشيخ.

قبح الله وجه المصادفة، لقد ساعدت الصدفة مرات عديدة السحرة.

اختلف سيدو آغا مع نورس بك لسبب ما، بعد أن قدم لكُلجين الخاتم والذهب، كان سيدو آغا يأتي إلى زيارة عمه نورس بك كل يوم. وعندما رأت العشيرة أن سيدو آغا قد خدع بنورس بك، وأصبح عدواً له أيضاً، تبرع أربعة شبان في احدى الليالي ودخلوا منزل سيدو آغا وهددوه ثم قالوا له:

ـ إما نورس بك أو العشيرة.

لم يتجرأ سيدو آغا أن يخالف العشيرة بهذه السرعة، فبقي في منزله عدة أيام، كان يخاف أن يقتله أحد، عندما يترك سيدو آغا العشيرة ويتزوج من كُلجين، مضت فترة لم يذهب سيدو آغا إلى زيارة نورس بك. وهذه كانت أمنية كُلجين أيضاً، قدم الشيخ لها فائدة كبيرة، لقد أنقذها من نار الجحيم، لكن كان يجب على الشيخ أن يسجن روح سيدو آغا دائماً كي لايعود ثانية الى كُلجين، لذا كان عليها أن تزور الشيخ كل عدة أيام مرة واحدة. وكلما سنحت لها الفرصة ذهبت مع العجوز إلى الشيخ، يسجنان روح سيدو آغا، طلبت كُلجين أمنية أخرى من الشيخ، أرادت أن تجمع روحها مع روح كاتب والدها سَرْوَرْ Serwer .

كان سَرْوَرْ شاباً أنيق المظهر وسيم المحيا، طالباً في الجامعة، يحب كُلجين كثيراً، وتبادلها هي نفس الشعور، لكنه لم يكن من الأغنياء، ولم يكن بمستوى نورس بك كي يصبح صهره.

وافق الشيخ أمنية كُلجين، إنه يجمع دائماً روحيهما معاً.

آمنت كُلجين بالشيخ وكرامته، واستسلمت له كلياً كانت تجلس معه، ويشربان ماء الزمزم في الخلوة معاً. وقد كان الشيخ يسجن روح عدوها، وترسل روحها إلى حبيبها سَرْوَرْ، عندما تبقى بلا روح، كان الشيخ يحضنها ويمددها بين نوره. فأصبحت كُلجين من اتباع الشيخ قلباً وقالباً، تذهب إليه كل اسبوع مرتين أو ثلاث مرات، وتبقى معه في كل مرة أربع ساعات في الخلوة، وتشرب مع الشيخ ماء الكوثر والزمزم، ويشدها الشيخ إليه، كانت الروح تخرج من جسدها مع روح الشيخ، وينبت لهما ريش وأجنحة ثم يحلقان فوق الجنة، وفي السموات... مرت سبعة أسابيع على هذه الحال، حتى تحرك في بطن كُلجين شيء ما، لكنها لم تعرف ما هو؟. لم تدرك أنها عندما كانت تشرب ماء الكوثر والزمزم، كانت تقع فاقدة الوعي، وعندها كان الشيخ يمنح من نوره جزءاً من الشراب .

لاحظ الشيخ هذا، وعرف أنه سيفتضح أمره بين الناس بعد شهرين أو ثلاثة، لذا كان عليه أن يداوي مريضته بالدواء الذي كان يداوي بها مرضاه مثل كُلجين وهو بودرة من بركات جده... يضع قليلاً من البودرة في كأس من الماء، ويقدم لمرضاه كي يشربوا.

بعد أن تجرعت كُلجين هذا الدواء، كانت تذبل تدريجياً كالريحانة وتذوب كالشمعة، فاقتعدت الفراش، ولم تملك القدرة على الوقوف، وبعد ثلاثة أسابيع اشتد بها المرض وأنطفأت كالسراج فجأة في يوم ما.

ماتت كُلجين، لكن شيخاً صغيراً كان يتحرك في داخلها، وبلا شك كان شيخاً دون ذنب.

*مجلة روناهي العدد 16 السنة 1943 الصفحة 5، 6، 7، 8.

صيد الخنازير

كنا نمشي في طرقات وعرة، ومشجرة، في وديان عميقة، على الصخور العالية، إلى الاماكن البعيدة... كنت أنا وصديقان لي، ومعنا كلابنا. حملنا بنادقنا على اكتافنا، وتخنصرنا بالزنار، ارتدينا القفازات في ايدينا وفي أقدامنا أحذية قوية متينة، وجوارب صوفية تقينا من برد الشتاء، ونرتدي الثياب الأنيقة الشتوية، وكان فصل الشتاء في الأربعينية، نقصد جبل (منجل) لصيد الخنازير. لم تكن هذه المرة الأولى التي نسافر فيها، بل سافرت عدة مرات في هذه الطريق، أصبح الصيد حاجة ملحة، ورغبة مميتة تجري في دمائنا، تسكرنا، نركب الطرقات كالمجانين، لا نستطيع التخلي عنها. كنا نمشي في النهار، وننام في المغارات ليلاً. بعد ثلاثة أيام اقتربنا من الجبل، وكان الوقت مساءً، والجو شديد البرودة، تعبنا كثيراً، واقتربنا من مغارة (كوف)، عادة عندما نصل إلى المغارة، نشعل النار بسرعة كي نتدفأ ونرتاح.

وصلنا إلى المغارة، لكن للأسف، كانت مهدمة لسوء حظنا، ولم أعرف مغارات أخرى في هذا المكان، ولم نستطع الرجوع في الظلام لأن الطرقات وعرة، والرجوع مستحيل، فالحيوانات الضارية والمتوحشة كثيرة جداً، احتمينا بصخرة كبيرة، كان المكان ضيقاً جداً، بحيث لم يسعنا وكلابنا، بصعوبة بالغة احتمينا بالمكان وأشعلنا النار.

هبت ريح عاتية بعد العشاء مباشرة... انهمر المطر رذاذاً، وازدادت الريح والمطر كلما توغلنا في الليل، انطفأت النيران، ابتلت ثيابنا، ارتجفنا من البرد، وارتجفت الكلاب، ووضعت أذنابها بين أرجلها، ورفعت رؤوسها عالية، وارتفع نباحها، يبدو أنهم ينذرون بنتيجة سيئة أو كارثة محتملة.

بدأت العاصفة تزداد كلما اقتربنا من منتصف الليل، وعندما كانت تلمع الدنيا، كنا نستطيع رؤية الأشياء. نخاف أن تهاجمنا الحيوانات البرية، ولن نستطيع أن نتخلص منها.

خفت شدة الرياح بعد منتصف الليل، توقف المطر تماماً، تفرقت الغيوم السوداء، ظهرت نجوم في بعض الأماكن من السماء، دبت الحيوية والنشاط فينا، تحرك الدم من جديد في عروقنا. لكن لم تمض فترة، حتى تجمعت الغيوم الناصعة البياض بدلاً من الغيوم الداكنة، وبدأت تثلج.

هطل الثلج مع بداية الفجر، وأصبحت الدنيا بيضاء، كان بإمكاننا أن نرى أمامنا، أردنا أن نرجع إلى الوراء، ونحتمي بمغارة ما. اوشكنا أن ننهض، وفجأة هجم علينا قطيع من الخنازير... الخنازير التي كانت تهرب منا مجموعات وقطعاناً، لكنها الآن تهاجمنا بشراسة.

نحن الأصدقاء الثلاثة، وضعنا ظهورنا إلى بعضنا، وصوبنا بنادقنا باتجاههم، وقد ساعدنا كلابنا أيضاً، كانوا يهجمون على الخنازير. بدأت معركة كبيرة، انتهت الطلقات، وازداد عدد الخنازير رغم أننا قتلنا الكثير منهم. كانت تهاجمنا جماعات، ملبية نداء بني جنسها، يزداد تساقط الثلج، ثم بدأت الزوبعة الثلجية تلفنا، واشتدت العواصف. ظهرت من جديد الخنازير والحيوانات المتوحشة والمفترسة، هجمت علينا، وعلى كلابنا تطلب الطعام، فهي جائعة، بعد أن نفدت طلقاتنا، علقنا حرابنا، قاومناهم فترة باليد، لكن لم نستطع المقاومة. وقع كل واحد منا في مكانه، قُتل كلابنا الثلاثة بعد ذلك سحبت الحيوانات المفترسة جثث صديقين لي على الثلج. كنت في حفرة، امتلأت الحفرة بالثلج، فتشوا عني، غبت عن انظارهم. وقد غطاني الثلج تماماً.

يزداد الثلج فوق ظهري، ويثقل كاهلي، لم أستطع التحرك، لكن هذه المرة، لم أشعر بالبرد، وكأنني ارتديت الفرو الصوفي، كان جسمي دافئاً. كنت داخل كفن طبيعي أبيض. لا أمل في النجاة. عندما يكون المرء أمام الموت، يتذكر بكل تأكيد نهاية حوادثه التي تمر كشريط سينمائي أمامه. تذكرت أشياء كثيرة وأنا في تلك الحالة. لاسيما كنت اسمع دائماً صوت المرتل قبل 20 سنة عندما كنت صغيراً (اللّه حق... مولاي حق... الموت حق).

كان الصوت صوت الدرويش، يلبس زياً أخضر، يظهر كل سنة مرتين أو ثلاث مرات، وفي كل مرة يظهر فجأة دون سابق انذار، اسمر اللون، طويل القامة، ذقنه حمراء... علبته التي يضع على ظهره خضراء وأيضاً عمامته. كانت تتدلى من رقبته سبحة خضراء حباتها كبيرة، وعلى كتفه علبة من خشب جوز الهند، وفي يده عصا طويلة، وفي رأسها حديدة. يدور في الأزقة ويصرخ بصوته الحزين (اللّه حق... مولاي حق... الموت حق) كان الناس يجلبون له أطفالهم، يمسد بيده المباركة على رؤوسهم، كان بإمكانه أن يدخل كل البيوت دون أن يردعه أحد، وينام في أي مكان أو بيت يريده. وأن يأكل من البيت الذي يرغبه. كانت جدتي، تحترمه كثيراً، تجلب له الطعام، وكان يمسد يده على رأسي، يقرأ شيئاً ما بهمس وينفخ حولي. كانوا يطلقون عليه (الخال خضر) يظهر فجأة، ويختفي فجأة، بإمكانه أن يلف العالم كله في يوم واحد. كنت أتضايق تحت الثلج، يسيل العرق من جسمي. تمر في ذاكرتي تلك المشاهد والمناظر، وخاصة منظر الدرويش... تربيت في بيئة دينية، كنت أعتقد أن الدرويش الذي يلبس الأخضر، أو (ملا خضر) سينقذني من الموت الأكيد، أو يساعدني. الدرويش رجل الكرامات والمعجزات، والذي يستطيع أن يلف العالم كله في يوم واحد، يستطيع أن يلبي صراخ مريده القديم، وينقذني من هذه الضائقة. كنت أفكر بهذه الأمور. سمعت صوتاً هاتفاً يقول لي: (لاتخف... أنا قادم إليك) نظرت

إلى الأعلى، طبقات الثلج تراكمت على ظهري، رأيت من الأعلى اسراباً كبيرة من الغربان، تتجه نحوي. ثم حطت بجانبي.

انتعشت، ردت روحي بأمل ملا خضر، قلت ربما أرسله الدرويش. لكن للأسف كان غراباً طويلاً جداً رأسه مدور كبير، وعلى صدره ريش ناعم، لايشبه الغربان. خاب ظني... إنه غرابٌ آكل الجثث... يشم الرائحة قبل أن يموت الانسان، هاهو قادم إلى جثتي. لكن هذا غراب أبيض، ذو هيبة وجلال ووقار، ليس غراب آكل الجثث، مسد بمخالبه الفولاذية على رأسي بعطف وحنان، رفعني على جناحيه الحديدية، وطار بي إلى السماء، عندها لم أكن أخاف من الموت. كنت أنظر إلى الدنيا، نظرة تفاؤل.

عندما فتحت عيني لم أر نفسي على اجنحة الطير، بل كنت في بيتي وعلى فراشي، يرفع الطبيب ذو اللباس الأبيض رأسي، ويضع الدواء في فمي، نظر أقربائي الجالسون على الطرفين اليّ بخوف، والدموع تسيل من عيونهم، ضحك الطبيب وقال: الآن لاتخافوا... لقد مزق الكفن).

عاد الوعي إليّ، كنت مريضاً منذ عشرين يوماً بحمى التيفوئيد.

* مجلة روناهي العدد 28 السنة 1945 الصفحة 5، 6، 7 .

الانقلاب الأحمر الكبير

ـ لانريد الحرب.

ـ لا نريد القيصر.

ـ يعيش الشعب.

كان آلاف الفقراء وفلاحو بطرسبورغ يتجولون في الشوارع والأزقة في شهر آذار من العام 1917، ويطلقون بصوت واحد معاً تلك الكلمات. وكان القيصر وعائلته وأعوانه ينظرون من خلف النوافذ إلى جمهرة الكادحين والفلاحين والرعاة الصعاليك، ويضحكون، ويقهقهون ثم يقولون:

ـ يزعجنا عواء هؤلاء الكلاب.

فعلاً كان القيصر وأعوانه منزعجين... ولم يكن انزعاجاً طبيعياً، بل كان غضباً سياسياً، وإن كانت تعابير وجوههم تضحك زيفاً، لكن قلوبهم تبكي حقيقة. فقد تعلق حمى الموت برقابهم، تهتز من تحتهم العروش.

لم تحدث هذه المشاغبات في شوارع بطرسبورغ فحسب، بل كانت البلاد كلها تموج بهذه الاحداث، فيطالب الفلاحون والكادحون والرعاة بالحرية والتقدم.

يتألف الشعب الروسي من طبقات كما هو الحال في جميع انحاء العالم هم: الحرفيون والقرويون وأهل المدن، من الفلاحين الكادحين، والرعاة... أهل المدن هم الطبقة البرجوازية الوسطى، الحرفيون هم الطبقة المهنية الحرة، أما الفلاحون الكادحون والرعاة هم طبقة المستغلين، كانت طبقة المهن الحرة تعيش على جهود الطبقة المستغلة، ويتمتعون بملذات الحياة بجهودهم. وكان التعب والبؤس من نصيب الفلاحين والكادحين.

* * *

أول من وضع نظام الطبقات الاجتماعي هو كارل ماركس في القرن التاسع عشر، لم يوافق على هذا النظام الطبقي الاخرق، وطورّ أفكاره الماركسية إلى الأمام. كان كارل ماركس يقول دائماً (الدم الذي يجري في عروق الانسان أحمر، لايوجد إنسان يجري في عروقه دم أخضر، ولايحق لأحد أن يعيش على جهد الآخر، ولايجوز ان يكون الشخص بلا عمل).

جرت الثورة الفرنسية الكبرى في عام 1789على هذه الأسس، وانكسرت منذ ذلك اليوم شوكة طبقة الأسياد، وستدرك كل أمة معنى الحرية ومتعتها.

كان معتنق الفكر الماركسي، وقائد الثورة البلشفية هو لينين، واسمه الحقيقي هو فلاديمير ايليتش ايليانوف، ولد لينين عام 1870 في سينبرسك، ومنذ نعومة اظفاره بدأ يناضل من اجل الحرية وكرامة الانسان، ويكافح في سبيلها ليلاً ونهاراً، بفكره وعقله ويديه.

بدأت الثورة الروسية عام 1917، لم يكن انقلاباً مفاجئاً، ولم تكن معجزة، لا، بل كانت ثمرة شجرة كان قد زرعها لينين قبل ثلاثين عاماً، البذرة التي بذرها لينين قبل سنوات في روسيا في الزمن الذي لوى القيصر عنقه وعنق أصدقائه.

طرد لينين من جامعة قازان عندما كان في السابعة عشر من عمره بسبب علاقاته برجاله الثورة وشنق شقيقه الأكبر الكسندر في نفس السنة.

كان لينين يحب العلم والتعليم كثيراً وخاصة كان يهتم بفكر كارل ماركس، وقرأ كافة الافكار (الاجتماعية) وخاصة كتاب ماركس الأول بعنوان (المسألة القروية)، وبدأ نشاطه منذ عام 1893 في مدينة بطرسبورغ... واتجه إلى الكتب الاشتراكية، وقبل كل شيء أراد أن يسن القوانين للفلاحين والعمال، أسس حزباً أشتراكياً ديمقراطياً بين عام 1894 ـ 1898، اصدر صحيفة رسمية، ثم اعتقل ونفي إلى سيبيريا، وبقي هناك حتى عام 1900، ولم يتخل عن نضاله.

بعد أن عاد من المنفى خرج مع أصدقائه الاثنين الأول (مارتوف)، والثاني (توبريسون) من روسيا، وذهبا إلى المهجر مع بليخانوف واكلور وفيرازاسوليست وأصدروا جريدة بعنوان إيسكرا. ثم ذهبوا إلى بروكسل، ولم يستطيعوا الاستمرار هناك، فلجأوا إلى لندن ودب الخلاف بين جماعة ايسكرا، وانقسم الحزب إلى طائفتين. البلاشفة والمناشفة، كان البلاشفة تحت قيادة لينين، واصدر صحيفة بعنوان (بريود) وفي عام 1905 عاد لينين إلى روسيا، وحدث انقلاب في الفكر والنظريات العامة في روسيا، وانخرطوا في المجال العملي، حدث كفاح مسلح في شهر كانون الأول تحت قيادة الحزب باسم جماعة السوفيت، فحاربوا جنود القيصر عشرة أيام، لم يوافق المناشفة على هذا الكفاح المسلح واراقة الدماء وانضموا بدورهم إلى القيصر والبرجوازية.

اضطر لينين أن يخرج من روسيا في عام 1907، وبدأ نشاطه السياسي في عام 1912 من خارج روسيا. وعندما بدأت الحرب الكبرى في عام 1914، بدأت جماعة السوفيت تظهر من جديد وبقوة أكبر واهتزت بطرسبورغ.

ظهرت بوادر الثورة الاشتراكية في روسيا تحت قيادة الحزب البلشفي وزعامة لينين في عام 1917 وكانت هذه بداية تاريخ تحويل الطبقة الرأسمالية، وبداية التاريخ والمسار الصحيح والحرية.

عرض عمال بطرسبورغ عرضاً مسرحياً في شهر آذار من نفس العام، وتجول آلاف الناس في الشوارع والأزقة يرددون: (لانريد القيصر، نريد الحرية، يعيش الشعب...)

اشتدت نيران الثورة في بداية شهر آذار، وكان القوزاق والجنود الذين يرسلهم القيصر إلى هؤلاء الجمهرة ينضمون إليهم، ويحاربون شرطة القيصر... لم يبق سبيل أمام القيصر... وسقط القيصر عن عرشه الذهبي.

ومع سقوط القيصر، وجهت ضربة اقتصادية وادارية إلى الطبقة الرأسمالية، وجرت انتفاضة آذار بقوة القرويون والجنود فقط.. بدأت ثورة تشرين الأول بعد ثمانية أشهر، وانتصر البلاشفة في كل الاماكن، وتأسست حكومة بلشفية بزعامة لينين. وفي نفس الوقت أسس أهل المدن والبرجوازيون حكومة بقيادة الأمير لغوف وميلكوف. نشر لينين برنامجه المتضمن عشرة بنود في نيسان. فجّر البرنامج الوضع في روسيا كقنبلة ثم بدأت ثورة تشرين الثاني، أراد لينين أن ينهي الوضع لصالحه في أيلول، لكنه طهر البلاد منهم في شهر تشرين الأول، انهارت الامبراطورية الروسية الظالمة، وأسس بدلاً عنها اتحاد الشعب السوفيتي.

اشتهر لينين في العالم أجمع خلال ثمانية أشهر، فازدادت واجبات لينين وكثرت مهامه في السنوات الأخيرة، لكن للأسف امتدت إليه يد المنية.

استلم قيادة البلاد السوفيتية بعد لينين الزعيم ستالين، وقد حوّل هذا الرجل الفولاذي بلاد السوفيت إلى جنة ونعيم، قدم لهم وسائل الرفاه والسعادة. يحصل اليوم في السوفيت كل امريء على قوته حسب عمله واحتياجاته... فالإنسان حر، لايتجرأ أحد أن يظلم الآخر أو يقسو عليه... لاتقاس الحاجيات بالعظمة والشيخوخة والأبوة، بل تقاس بالاعمال المقدمة.

يوجد الآن بين الشعوب السوفيتية اتحاد قوي، لا فرق بين القوميات الصغيرة والكبيرة، من الناحية القومية والدينية. كل شعب يتكلم بلغته ويكتب بلغته ويقرأ بلغته. ولايمكن لأحد أن يحتقر القوميات الأخرى، بل يعاقب كل من يخالف هذا الأمر.

* * *

توجد عدة قرى كردية في بلاد السوفيت، وقد حصل الكورد على حقوقهم القومية والدينية، بحيث توجد في كل قرية مدرسة وكولخوز كردي، وتصدر صحيفة رسمية تدعى (ريا تازا Riya Teze)، وهناك دار المعلمين وجامعة. ويصدر أعضاء الجمعيات مئات الكتب الكردية، نتمنى لهم الحرية، ومزيداً من التقدم.

* مجلة روناهي العدد 28 السنة 1945 الصفحة 23، 24 .

الخاتمة – النهاية

عندما يكون المرء غير راض عن نفسه، ويشك في مستقبله، فيلتفت إلى الوراء، ويتمعن في أيامه الماضية كعجوز مهتريء يقلب صفحات حياته ولايريد الموت، لكن يفكر في أيامه الماضية، يتذكر شبابه وطفولته، هكذا يعزي نفسه.

لقد أصبحت أنا مثل أولئك العجائز، أصبحت شاباً عجوزاً أتأمل مستقبلي وما تخبئه لي الأيام القادمة، سراب وشكوك، يلفني الآن ضباب وغبار. أتذكر مثل ذلك العجائز البالية الرثة أيضاً الذين قضوا أيامهم الماضية وخاصة أيام الطفولة، تصدر آلاف الحسرات والآهات من قلبي، واستمد منها لذة النفس، أجمع اليوم أشتات الأوراق المزقة من تاريخ حياتي، أحاول إعادة ترتيبها، كي أصنع منها كتاب السعادة. تتنوع صفحات كتابي وتتعدد من القسم والذنب، والايام الماضية والنهاية (الخاتمة) لتشكل مجموعة صفحات يضمها كتابي الحزين، ويزداد الكتاب غنىً وتنوعاً، ورغم ذلك تبقى صفحات ممزقة، والخاتمة صفحة من تلك الصفحات.

حدث ذلك قبل خمس وعشرين سنة خلت تعداداً بالاسابيع والأشهر والسنوات: حدث فجأة داخل بيتنا خبر أو نبأ شاع وانتشر. توفي أخي فتحي بعد مرض قصير جداً دام ثلاثة أيام وفتح باب العزاء، وأنتشر البكاء، كان فتحي يصغرني ببطن واحدة فقط، يصغرني بـ سنة ونصف سنة كان ضخماً ذا عيون سوداء، وسحنة بيضاء، أطول مني قامة.

تأثرت بموته أكثر من أي شخص آخر، لأنني كنت أحبه كثيراً، وكنت أعتبر نفسي مذنباً تجاهه ومسؤولاً عن موته.

توجد عادة في بلادنا، بحيث تجمع كل عائلة الفواكه الصيفية والخريفية، وتحفظها في الدنان والخوابي، وتحكم اغلاق الفوهة، ثم يخرجونها في رأس السنة، لاتذبل الفواكه ولاتيبس (تجف)، بل تبقى طازجة وطرية. جمعنا نحن أيضاً الفواكه الصيفية، وحفظناها في تلك السنة، وقد ملأنا ثمانية دنان كبيرة، وأغلقنا أفواهها باحكام، توافد الأصدقاء والعائلة أجمع إلى بيتنا في رأس السنة، وانتظر الاطفال الصغار بفارغ الصبر ورغبة ملحة أمام مراسيم فتح الدنان. عندما دخلت والدتي إلى مخزن المونة، فرأت دناً مفتوحاً وفارغاً من محتوياته، خرجت فوراً، وأمسكت بكتفي ثم هزتني غاضبة، وقبل أن تسألني عن أي شيء بعد! قلت لها: (فتحي، فتحي هو الذي فتح الدن، ووزع الملبن على أولاد الحارة...) لم يكن فتحي موجوداً في البيت، بل كان ذاهباً إلى عمته في رأس السنة، وعندما عاد، أمسكته والدتي دون سؤال وصفعته بقوة على وجهه، لم يكن المسكين يعرف شيئاً، فبكى بصمت عميق. لكن في الحقيقة أنا الذي كنت قد

فتحت الدن، سحبت ما في داخله من الملبن تدريجياً بيدي، لكن لم آخذه لنفسي، بل للحكواتية المذنبة (المرأة التي كانت تروي لنا الحكايات): خجة.

كانت خجة تروي لنا الحكايات... لديها طفلان يتيمان، ابنها وابنتها، كانت خجة تدبر أمور معيشة طفليها ومعيشتها عن طريق رواية الحكايات، كانت غرفتها تمتلىء في الليالي الشتائية من الأطفال أمثالي ذوي الأعمار (6 ـ 7) سنوات، وكنا نحن الذين نقدم لها الطعام والشراب والسجائر والأقمشة، وقد كنت مكلفاً بتقديم الفواكه الشتائية في تلك السنة، كنت أخدع والديّ في كل ليلة وأتحجج بأنني سأذهب إلى صديقي خورشيد في المدرسة. وسأدرس معه دروسي، كنت أمر من دهليز ضيق ومظلم إلى المستودع، وأملأ جيوب جاكيتي ومعطفي بالملبن والباقسمة، وأفرغها أمام خجة التي ستروي لنا الحكايات. كانت خجة تقول لي دائماً: (أحسنت ياولدي، أحسنت) لم تبدأ خجة برواية الحكايات مالم يكتمل عدد مستمعيها، كانت تتجول بنظراتها حولها وتقول:

ـ هل سادو هنا؟ أين رمو؟ لماذا تأخر جمو؟.

يحضر المستمعون الواحد بعد الآخر، ثم تبدأ هي برواية الحكايات، لاتمل خجة ولاتتعب من رواية الحكايات، ونحن أيضاً بدورنا لا نشبع (نرتوي) من الحكايات، تخفض صوتها في بداية الأمر، ثم يرتفع صوتها تدريجياً، كنا نتمدد على الأرض كي نسمع الحكايات بشكل جيد، وأحياناً نريد أن نقترب منها، وبعد أن يرتفع صوتها لم نكن بحاجة إلى الاقتراب، كلما تحمست خجة شَدتْنا إليها، وتنتقل روح العدوى إلينا، كانت أيدينا تتحرك دون علم منا، فتتحول الغرفة إلى حمام ساخن من شدة حرارة النار وزفير الأولاد. تشعل خجة السيجارة تلو الآخرى، وتسحب نفثاً منها بعمق، تخرج الدخان من أنفها وتقول بعد ذلك: نعم، إلى أين وصلنا: (كان الأمير محمد شاباً في العشرين من عمره، رأى في حلمه ابنة ملك الجان، فتخلى عن الحياة من أجل حبها، وهام على وجهه في البراري، صادفه في الطريق سبعة عفاريت، شهر الأمير محمد سيفه ذا الحدين وقطع رؤوسهم الواحد تلو الآخر).

كانت خجة تروي لنا حكايات الجان والعفاريت، والحوريات والافاعي، وكنا نستمع إليها بصمت قلباً وقالباً، ونندهش من قوة أبطال هذه الحكايات.

كنت أحب كثيراً حكايات العفاريت، وأقول لنفسي: آه ياليتني، أصبح ذات يوم مثل الأمير، وأصبح بطلاً لحكايات العفاريت، وليكن لي سيفٌ ذو حدين، كانت روحي تهتز لسماع هذه الأساطير، وكان قلبي يرتعش بهذه الحكايات.

بعد أن ضُرِب فتحي من قبل والدته، ذهب بصمت إلى زواية الغرفة وجلس فيها وتأثر، تغير وجه فتحي وانتابته حمىً ساخنة، لم يستطع أن يتحرك من الفراش، واشتدت الحمى عليه في صباح اليوم التالي، لم يستطع الكلام وقد انعقد لسانه، أحضر والدي له الطبيب، فكتب الطبيب الأدوية وقال: (لاتقلقوا، إنه مرض خفيف من نوع الكريب). لكن للأسف لم يفتح أخي العزيز عينيه ورحل عن الدنيا في اليوم الثالث، وتركنا في البكاء والنحيب والتعزية. نعم، مضت خمس وعشرون سنة، ومازالت هذه النهاية الحزينة تسمم حياتي وتقلقني، وأنا بدوري أدعو على تلك العجوز التي كانت تروي لنا الحكايات بألف مصيبة وكارثة في نفسي. لكن، إن كانت ـ تلك العجوز ـ حية ترزق، فلدي الرغبة الجامحة أن أراها ثانية وأقول لها:

ـ أنا أيضاً وقعت في الحب، حاولي أن تحشريني في الاماكن الضيقة والمظلمة، دخلت أنا إلى عالم العفاريت والافاعي، وأحاربهم، لكن ينقصني شيء واحد فقط هو السيف ذو حدين كسيف الأمير محمد.

1943/4/14 ـ الجديدة

* مجلة روزانو العدد 2 السنة 1943 الصفحة 4.

نادي النصر (سركوتن)

الصوت الحيوي

نشرت جريدة (Jin) الكردية الصادرة في السليمانية مؤخراً مقالاً قيماً حول نادي النصر التي يصدرها الشاعر والأديب الكردي توفيق بك (پيرەمێرد) مقتبسة من مجلة گەلاويژ ـ المجلة الكردية ـ التي تصدرها مجموعة أقلام كردية متعلمة في بغداد. حول نادي النصر أطلعنا على بعضها، بصراحة إن هذه الجمعية قد تأسست منذ زمن وقد تراجعت أعمالها قليلاً خطت في الفترة الأخيرة بحب واشتياق خطوات منسجمة باتجاه اهدافها.

هذا الصوت الحيوي النشيط يخرج من قلوب صافية وأفواه أمينة، سينظف طبقات الصدأ التي تراكمت في آذان الكورد الجهلة، وتملأ قلوبهم الخاوية بالآمال والاحلام. تلمع هذه الاضاءة من مشاعل المتعلمين، تلك المشاعل التي تبرق أمام علماء المعرفة ورجال الأمة أمثال أمين زكي، رفيق حلمي، علي كمال ومعروف جياوك بك قد قبضوا عليها، سيمحى الظلام والضباب الذي خيم على بلادنا، وتزول الغمامة والضباب التي خيمت على جبال زاغروس، وتملأ عيونهم المحرومة منذ سنوات والتي تبحث عن النور بضياء الشمس.

* * *

نرى في الفترة الأخيرة في كل عدد من أعداد گەلاويژ قائمة بأسماء المتبرعين ورجال الكورد الكرماء، يقدم كل واحد لجمعيته أربعين أو خمسين، أو خمسة وخمسين ديناراً، ادام الله سخاءهم، وبيّض الله وجوههم. يقول المثل: (خبيء قرشك الأبيض ليومك الأسود). نحن اليوم ـ الأمة الكردية ـ تأخرنا عن مواكبة الحضارة في كل المجالات، يجب علينا أن نستيقظ نحن أيضاً ونساعد بعضنا يداً بيد وكتفاً بكتف، ونغذي طريق الحياة كي نصل إلى هدفنا ومرادنا.

* جريدة روژانو العدد 19 السنة 1943 الصفحة 1 .

خاتم سليمان

آه..يا استاذي، ياليتني أمتلك تلك القدرة – الملكة الشعرية التي كنت تمتلكها، لكنت اليوم صوّرت الجمرات والنار المتأججة في داخلي... ياليت.

كم هو قاس أن أقطع آلاف الجبال والبحيرات، واجتاز آلاف السهول والوديان وأصل إلى هنا، لأستقر في مكان، مثل هذا المكان، وتذبل فيه وردة شبابي، وأطفيء فيه شمعة الفتوة أيضاً، وأقدم عصارة تفكيري لأولاد زيد وعمرو وهم يشربون منها. كتبت سبب وحكمة هذا السر في الأيام الماضية، واليوم لا أريد أن أعود اليها.

* * *

صرفت اليوم بعد الظهر تلاميذ مدرستي، أردت أن أخرج الى ظاهر القرية فترة، وأبدد قلقي وأرفه عن نفسي المتضايقة. كنت أتمشى بهدوء على الطريق، أراقب من حولي، يؤخرني منظر جميل أينما وجدته، كنت أنظر إليه بحسرة وآهة وأتذكر وطني الأخضر، وتلك الجبال الملونة تمر أمام ناظري .

كنت أمشي في الطريق دون هدف ولا إرادة، لا أعرف ما يجري، فجأة تعلقت قدمي بشيء، عندما انتبهت إليه، جفلت، وتراجعت من فوري، كان شكلاً يشبه شكل الفطر، لكن لم يكن حجراً يشبه لونه أي الالوان التي نعرفها، بل كان جسماً غريباً بلون عجيب.

عندما انتبهت إليه اجفلت، لأننا كنا نسمع دائماً أو نقرأ في الصحف، أن رجلاً وجد شيئاً في المكان الفلاني، أو في المنطقة الفلانية، ثم انفجر في يده، ومات حامله أو أنه قد جرح.

ما أعرفه من معارك اليوم، أن الأرض والسماء وكل الأماكن قد زرعت بالالغام، فانتابني الخوف عندما رأيت هذا الجسم الغريب، قلت لنفسي قد تكون قنبلة أو لغماً، وكلما تمعنت النظر فيه، كنت أتراجع خطوة، عندها أدركت أن الروح غالية وثمينة، وكيف يتمسك الانسان بالحياة، بعد ذلك بقيت فترة، أن تلك الروح التي تشيخ وتهتريء دون فائدة ودون سبب في جديدة عرطوز ما الفائدة منها؟ قلت لنفسي: (فليكن ما يكون) التقطت ذلك الجسم الغريب، وتحسسته بين يدي، عندها سرى تيار كهربائي من قمة رأسي الى أسفل قدميّ سرياناً صعوداً

وهبوطاً، وتحولت الدنيا أمام ناظري إلى ضباب ودخان، ثم تلاشى الضباب تدريجياً، وظهر (لاح) عوضاً عنه كائنان أسودان ـ ديو ـ عفريت ـ يحملان سيفاً في ايديهما، وسألا:

ـ هل ندمر العالم إن كنت ترغب؟

كنت قد سمعت في الحكايات عن بعض الأساطير الخيالية لكن لم أتذكر يوماً من الأيام أنها ستحدث معي مثل هذه الحكايات، رغم أنها حدثت أمام عيني لكنني في الحقيقة كنت أشك فيها، اندهشت امام هذه المصادفة العجيبة صراحة، وتلفت يميناً ويساراً، ثم تمالكت نفسي، قبل أن أجيب على سؤال الكائنين، بادرتهم بالسؤال:

ـ ما هذا الذي أحمله بيدي؟

قالا لي: خاتم سليمان، هل ندمر العالم إن كنت ترغب؟.

ـ لا، أرجوكما، لتبق الدنيا كما هي عليه، لكن أين حضرة سليمان؟ أمسك كل واحد بيدي وقالا: (أغمض عينيك، بينما أغمضت عيني، وفتحتهما، وجدت نفسي في حضرة النبي سليمان ملك الانس والجان، فقد كان جالساً على عرش ذهبي، وكانت بلقيس تقف في الطرف المقابل له، وتحمل في يدها كأساً من ماء الكوثر، تقدم لعابدها. ويشرب من ماء الكوثر نقطة نقطة. ثم التفت النبي سليمان إلي وقال:

سرق جني يدعى (سيدو) مني هذا الخاتم منذ ألفي عام، وها قد اعدته اليّ اليوم، اطلب مني ماتريده الآن.

كنت أعرف من قبل أن النبي سليمان هو ملك الحيوانات في العالم، وقد تملكتني رغبة في تعلّم لغة الحيوانات منذ القديم ـ قلت له:

ـ أرجو من حضرة جنابك أن تعطيني مفاتيح حظائر الحيوانات، ومفاتيح طلاسم اللغة ولهجاتها.

لم يستهجن حضرة جناب النبي ماطلبته منه، بل أمر فوراً جنياً ما، فأحضر الجني لي مرادي وطلبي. دخلت إلى حظائر الحيوانات، كانت الطيور تفر من أمامي رفوفاً في كل الجهات، وتتجول قطعان الحيوانات معاً، تحدثت مع غالبيتهم، فرحت من بعض الحيوانات

وغضبت من الأخرى، وافترقت عنهم. تأثرت للبعض كالخراف والثيران والأرانب، وحقدت على البعض الآخر كالافاعي والعقارب والذئاب الشرسة، والثعلب وابن آوى.

لم يأذن لي حضرة جناب النبي أن أذهب في ذلك اليوم، لأن البوم والهدهد سيحاكمان في اليوم الثاني، قال لي النبي سليمان: (يجب أن تحضر هذه المحاكمة) لذا بقيت أيضاً.

عندما حان وقت المحكمة جلس البوم والهدهد على كرسي الاتهام بجانب بعضهما، قال حضرة النبي سليمان للبوم: جميع الحيوانات يشتكون منك، يقولون: (إن هذا الطائر هو طائر يجلب الشؤم والدمار وليس له فائدة، أينما يقف، يدمر المكان الذي حط عليه). ماذا تقول أنت؟

نهض البوم ذو الرأس الكبير والعيون الصفراء (يبدو عليه أنه لايفيد بشيء من السيادة) بتثاقل على قدميه وقال: ياملكي، أنت تستمع لكلام الديدان وصراصير الحقول، هم صيدنا منذ قديم الأزمان، النمل الصغير والكبير عبيدنا أيضاً، لايحق لهم أن يشتكوا ويحاكمونا.

نهض وكيل النمل عامة، وقد تذكر فراخه (تلك الفراخ التي اكلها البوم في عشه) الصغير، سال بعض نقاط الدم من منقاره، وسحب حسرة من القلب ثم قال:

أفتح عينيك أيها الأفندي، نحن جيل القرن العشرين، لم يعد هناك عبد ولا سيد بعد اليوم، كل واحد يملك حريته، ارم هذه الفكرة الهرائية من رأسك. لتر عيناك ضياء الشمس، أنا اليوم أطالبك بدماء تلك الفراخ غير المذنبة)، جرت محادثة قوية وطويلة بين الأثنين من Murxan الطيور، كنت أنتظر بشوق ورغبة إلى حكم حضرة جناب الحاكم، لكن للأسف، ايقظني بكاء طفلي الصغير الذي تجاوز الستة أشهر من النوم.

انذاك كان البوم يصدر صوته فوق جدار مهدم، وفي واد عميق وبعيد، أيضاً كان الهدهد يصدر صوتاً حزيناً وأنيناً.

الجديدة 1943/10/27

* جريدة روژانو العدد 39 السنة 1944 الصفحة 4.

الثعلب الماكر

علق ثعلب، طبلاً في رقبته، وقف أمام منزله، قرع على الطبل وقال: خبر عظيم... عرس كبير... برنامج عجيب... لعبة الفئران... معركة السلحفاة... غناء الشحرور، هيا انهضوا! لاتدعوا فرصة غنية ومتنوعة أن تفوتكم، تعالوا... تعالوا... (صوت الطبل، دم... دم... دم... دم) الدخول للصوص والحجل مجاناً، هيا انهضوا...

سمع حجل وصوص صوت الطبل وجاءا. قال الحجل للصوص:

ـ تعال، لنحضر هذا الاحتفال، لأنه لايتطلب نقوداً.

عندما دخلا قال الثعلب:

ـ هيا تعالا... تعالا... سآكلكما، وقعتما في فخي.

بدأ الحجل والصوص بالبكاء وقالا:

ـ اعف عنا أيها العم ثعلب.

قال الثعلب:

ـ فاليوم لايهم، يوجد لدي فطور وعشاء، سآكلكما غداً.

وضع الثعلب حجراً أمام باب المنزل ثم خرج يتجول.

أزاح الصوص والحجل بمنقاريهما الحجر من الباب، خرجا ثم هربا. قال الصوص للحجل هذه المرة!ـ لن نخدع ثانية.

* القراءة الكردية، 1938، الصفحة: 45.

- وصلتنا هذه القصة الفولكلورية للكاتب قدري جان من الاستاذ عزالدين ملا ـ مشكوراً ـ .

شـــعر

كم هي جميلة

كم هي جميلة هذه الحياة
بين الأهل والأخوات،
وهل القلب لايئن
من جروح الرماح،
هذا الجرح جرح الرماح،
يثقل كاهلنا
وبلا كبد وفؤاد
أخوات الفاجعات
هذه صرختنا
والنوم ضرر وبلاء
نحن لا نشك أبداً
في نصائح الخلان.

* مجلة هاوار، العدد 1 السنة: 1932، الصفحة :6.

مواساة (1)

إلى ترنم وصدى بدرخان

1

قم وانظر لحظة فيما حولك
انتظرنا كثيراً، طال نومك
كبير أنت، أيها الفتى الجميل
انهض يا بدرخان، هيا إنهض

2

استيقظ اذن فالوقت جميل
أرض كردستان خزينة لك
اتعرف أن نهاية النوم ضرر
انهض يا بدرخان، هيا إنهض

3

تسلل الذئب الغدار إلى الخراف
ألا تعرف الخراف؟ لهجة الكورد
اصبحنا هدف رماح الاتراك
انهض يا بدرخان، هيا إنهض

4

إن كانت الحياة حاقدة
فالنوم لنا ليس بفضيلة
والمأوى ليس الفراش، بل الأرض والديار
انهض يا بدرخان، هيا إنهض

5

اليوم، إما نشاط أو شرف
اصبحنا عبرة أمام أبواب الكهف
لاتقل كفى، المطلب همة
انهض يا بدرخان، هيا إنهض

6

إن كانت دورة الحياة نسيماً
فالبداية خنادق وكمين
افتح عينيك الرب كريم
إنهض يا بدرخان، هيا إنهض

7

لِمَ لاتقول ما هي الأحوال
لم نعد نصبر على الألم والأنين
هيا إنهض، فالميدان لنا كله
إنهض يا بدرخان، هيا إنهض.

*** مجلة هاوار العدد 6 السنة 1932 الصفحة 2 .**

الحداد

حداد يعمل بجد ليلاً ونهاراً
يصنع سلسلة كي لاتقطع في الادبار
يشرق وجهه في كل ضربة
تكبر أحلامه كلما تعاظمت قوته
مضت الأيام، وهو يثير انتباهي
لاتلين السلسلة بالمطرقة الصغيرة
هل يمكن أن ينكسر، الحديد القاسي- السميك! من يشعر به
ذهبت إليه، وطرحت عليه سؤالاً
بعد سؤالي، بردت همته قليلاً
يا عمي العزيز، رخيصة نعمتك
نقطة من عرق جهدك، دواء لي
إنتبه إليه كل مرة، المطرقة والسلسلة
أصبح همه مرضاً، لايمكن ذكر شيء
الى متى؟ تطرق الحديد وتصرخ
تتحمل ذنب الحلقة لتصنع السلسلة
جئت على الرحب يا فتى الزمان
أنا الذي أنتظرك، وها انت أتيت
لم يأت راغب حتى هذا الوقت
لم يقل ما هذا الصراخ والتعب
استمع يا بني، من الأفضل أن تظهر
إن أخفيت عنك سراً، فهذا جزائي
فرض عليّ آراء الاسلاف – الأجداد
قالوا كثيراً، فلتمطر عليهم الرحمة
هم قالوا: من لايصبر يبقى عطشان بلا ماء
كالذي يحفر الجداول بالأبر

إن جهدي وعملي من نصائح الأجداد
إن لم ينته اليوم، فغداً سيسهل عمله
دون أمل لاحياة، هيا شمر عن ساعديك
لا تجهد نفسك كثيراً، ولاتئن من أجلي
لنضرب بيد واحدة، ويصبح الصديق ذو الجلال
ليكن طوق الاسر فولاذاً صافياً
لنتخلص من لعنة الطوق، ومن الأسر
عندئذ فلينظر، إما أن نكون ذئاباً أو خرافاً

* **مجلة هاوار، العدد** 7 **السنة** 1932، **الصفحة** 4، 5.

في صحراء

أنا وصديقي نمشي في الطريق
لمن جئنا وإلى أين نذهب؟ لانسأل
نعرف أننا مسافرون منذ الأزل
كلما مضى الوقت، وجدنا أنفسنا خارج المجال
اهترأت احذيتنا في أقدامنا، وتمزقت ثيابنا
طالت أظافرنا، وجدّلنا شعرنا
فالأشياء التي كانت معنا، بقيت كما هي
الدلو، والعكاز مازالا صديقين لنا
الأشواك القاسية، تغرز أحياناً في أقدامنا
آلام الأشواك تلف قلوبنا
عندما يحل الشتاء ترتجف الاجساد العارية
وعندما يحين الصيف الحار، فلا تفيد الشكوى
تُجدد أجسادنا تدريجياً بشرتها الناعمة
يفهمون تماماً أنفسهم إن أرادوا أم لا.
هكذا نمشي دون وعي ولا شكوى
طريقنا الأبدي، نتقدم إلى البعيد البعيد

* * *

في يوم ما، لم نملك قدرة المتابعة
لا القرية ولا القرويون يفسحون المكان
لِمَ يسمع صوت من بعيد
استمع إلى الصوت إنه صوت أنين عميق
احببت أن أقول: اسمع أيها الصديق
سمع هو أيضاً وقال: أيها الرائع
ما هذا الصوت الذي يئن؟ ترى في أي مكان يطن
قد يكون مثلنا قاشاً يابساً تذروه الرياح

هكذا بدا أنه كان صديق الآلام والجراح
كردياً سيء الحظ، يصرخ، طالباً النجدة
قلت له: ماهي احوالك يا أخي؟
لماذا اتكأت على الأرض تئن هكذا؟
رد علي وقال: مصيبتي كبيرة
وقصتي طويلة، إن كتبتها فتصبح رواية
أنا من كورد (سرحدا) و(ملازكرد) قريتي
خرجت منذ سبع سنوات برغبتي
لغتنا هي السبب، صارت لي مصيبة
جاء رجال شرسون يقولون لهم: أتراك
منعوا لغتنا الجميلة بالقوة
وفرضوا علينا لغتهم العوجاء المحشوة
كانت جريمة كبيرة، ألصقوها بالكردية
لمن هذا التجاهل؟ السجن والنفي والأذية
إذن لم يكن غير هذا، فجهزنا نحن بعضنا
هجمنا على الأعداء وأسرعنا بأحصنتنا
لكن، القدر لم يحالفنا، وبقينا ضعفاء
كقبضة حمص ارتطمت بالصخر بقينا بلا أصدقاء
ضاع والديّ
- ارتمى صديقي الأول عليه -
ألم تعرف أبداً أين توجهوا؟
أيها الأخ زنار لِمَ لاتعرفني
أنا أخوك فرزند، نحن من أب وأم واحدة.
تعانق الأخوان والآهات ترتفع والدموع تنهمر
اهتزت الأرض والسماء، واشتعلت النيران والاشياء تنصهر.

*** مجلة هاوار، العدد 10 السنة1932، الصفحة: 4، 5.**

التابوت المدمى

ـ وفاة الشيخ عبدالرحمن الكارسي ـ

انظر إلى الأرض، أرى بقع الدماء
ماذا أرى أي أثر أقتفي
الأشجار والأحجار كلها في حداد
دون وعي يصدر مني صوت
تابوت بين غيمة الدماء
سحبته الملائكة إلى السماء
سرت في اوصالي رجفة ففزعت
تعالى صراخي وأسودت الدنيا فهرعت
فالتابوت، تابوت عبدالرحمن
كان ضيفاً على هذه الدنيا الفانية
إن ترك الحياة، فالجنة مأواه
فرح جميع الكورد برحمته وأنا
ألف أسف عليك أيها الشيخ عبدالرحمن
جميع الكورد مهمومون بموتك
اعزف على وتر النجدة
فلن أرتوي من تلك النجدة
لم نر شهادة هكذا بلا عبرة
إن الجناية والخيانة رقيقة
في سبيل امريء صاحب الحماية
انا أدون تاريخ يوم عزائك.

*** مجلة هاوار، العدد 11 السنة،1932، الصفحة، 6 .**

جگرخوين

عندما كنت أفقد الوعي
وصلتني البشرى تقول: اقرأ
أنا الملطخ، أنا الذائب
رأيت أن البشرى باسم جگرخوين

* * *

صديقي العزيز يمدح قريتي
يقدم لي الآهات والحسرات
جمرة نار تكويني من جديد
فالآلام والأمراض هراء يا جگرخوين

* * *

جميلة ديريك وتستحق المدح
ماذا أفعل، لايمكن ادراكها بسبب السفح
مجروحون في القلب كورد هذا الجيل
لا أنا ولا أنت، بل الجميع يا جگرخوين

* * *

أليس أشجار البلوط قليلة في (معدن)
(عثماني) و(سيورك) و(موش) و(سرحدان)[7]
من جبال (طوروس) إلى سهول (روان)
كلها غابات، اعلم جيداً يا جگرخوين

* * *

أعرف أنك تعرف، أن الوطن جميل
هناك بعض المدن لاتراها بدلاً
فعزة النفس للفتى الشجاع الأصيل
لو رآها بعين شعر جگرخوين

---

[7] بلدات كردية.

* * *

لتكن سليماً أيها الصديق وأفعل مايحلو لك
بلاد الجنة دائماً بالحانها العذبة
اعزفها بأصابعك الناعمة
كي يعرف الجاهل أنك أنت جگرخوين.

*** مجلة هاوار، العدد** 12 **السنة**،1932، **الصفحة**،2.

حلم اليقظة

آه يا وطني... آه يا وطني
أشرقت عليه شمسنا بسرعة
كيف حال الأب والأخوات
لماذا لم نسمع منهم خبراً
حلمت الليلة حلماً مزعجاً
تفضل اسألني
إن بدأت مرة
فسترى كيف أنني حريص
رياح شمالية سوداء قادمة
تعصف في أذني
دون بكاء قدّمت ورقة حمراء
تتضمن الورقة شعرتين فقط
ذهبت إلى عرافة
قلت لها: افتح لي فالاً
قدمت روحي وجسمي
أوجدي دواءً لدائي
نهضت العجوز من أجلي
وضعت أمامها كأس ماء
تمتمت على الكأس ونظرت إليّ
ثم طأطأت برأسها
فالورقة ملطخة بدماء الأخوة
والشعرتان كانتا من شعر اختيّ
معانيهما عميقة
بدا من فال العجوز
أن اخوتنا قد قتلوا

واغتسلت بدمائهم
أرسلت الأخوات شعرهن
يعني (لماذا جلستم)
جسمي يؤلمني اليوم كثيراً
أعرف تماماً ما السبب
ماذا أفعل ليس هناك دواء
ولا حظ إلا الحظ الأسود
الدواء الذي اكتشفه
أنعشه بأملي
للعشاق الذين مثلي
أسوّد صفحات هاوار
قل يا قدري والأنين
اعقد السواد واجهش
لم يعد يوجد شرف واحترام
ما هذا المرض وما هذه الحال.

*** مجلة هاوار، العدد 13 السنة:1932، الصفحة:** 11

الأم

ربيع حياتي خريف دونك يا أمي
والجنة حرام عليّ دونك يا أمي
تتأخر فراخ الحجل العرجاء عن الأسراب
إن كنت أنا فرخ الحجل ولم أبك
فهل يجوز يا أمي!
لا تتألمي بعمق أيتها الأم، لم تترك لي الكبد
تركت مكان الضحك والزغاريد بالآه والأنين.
يرعبني البكاء، ويدمر الصدر والظهر
ينبعث الدم الوسخ أين النوبات يا أخي
كل ما بقي بعض من الأغراض والآثاث
اربط جراحك باحكام
يصنع اطباؤنا الدواء لك
البعض منهم سكبان، ومنهم نافذ[8] يا أمي
لم تبق دعوة إلا وقبلناها، إن كانت
نظيفة اليد أم لا
وقال كل من رأى وضعنا: (شحاذ متسول)
هيا تحمل هذا الألم والبؤس، ولاتغضب
لم يبق عقل ولا شعور، ولم يحافظ يا أمي
أقسمنا إن وجد الطعام والشراب أم لا
لم نستطع أن نبتلع لقمة واحدة بسهولة
رؤيتك ميسرة لم تكن صعبة
كل أيامنا وأوقاتنا صيام وحمية يا أمي
انهم خجل من شدة أخطائهم
لاتئن كثيراً، ننتظر منك الأمل
من عيوننا الذليلة تنهمر دموع الدماء
لا تبذر المرض أرجوك أيتها الأم باكيزة

*** مجلة هاوار، العدد 14 السنة:1932، الصفحة:** 3

8 يقصد الدكتور أحمد نافذ .

جواب الفتوة للأم هاوار

أمي، أمي ياهاوار
سظرق الأتراك منها الغذاء
فرحت كثيراً
لأجلك أصبحت سائلاً
وضعي جيد الآن
هذه الأرض خزينة لي
إن بقي الوضع هكذا
فلن نجد خسائر بعدها.
يزداد قاموسي دائماً
ويتعاظم كل يوم أبداً
يتجمد الجليد هنا
يقص المقص القماش
يقول العم (هرجو):
قل للأمير (جلو)
لم تترك هاوار المدح
ورحل كل من كان صالحاً
وامراء عشيرة كويان
مجموعة الفرسان المشاة
يأكلون بشراهة
يجب أن يكونوا غرباء
مع هذا العدم
مع هذا العدد
أقدم تحياتي
بشكل عشائري
يفعل الأخ (بوز)
لاتكن طليعياً لنا
نحن جميعاً كورد
(دم الاتراك مباح لنا)
عدت إلى وجهة نظري
إلى فكري وهدفي
توسع صبري كثيراً
بكلام والدتي.

* مجلة هاوار، العدد 20 السنة:1933، الصفحة: 11

رسالة

. مهداة إلى شباب الجزيرة .

إن كنت بعيداً عنكم اليوم
فقلبي معكم كما كنت
تعرفون لما ابتعد عنكم
لابد أن كل ذكي يعرف الخبر.
لا أريد غرام عطر الشام
فالأمراض قد تغلبت عليّ
صديقكم أنا، وإن كنت بعيداً عنكم
يزداد نصيبي من ألآلام
الأيام التي كنت أقضيها معكم
لم يذكرني بالايام الماضية
رؤية (ماردين) و(برج البلك)
والله لن استبدلها بالحجر الأسود
لن استبدل ظفر واحد منكم
بألف زبير وعمرو
من الذي ألومه وأعاتبه؟
محتلونا راكبو الحمير
فليعرفوا أن لي يوماً سيأتي
وسيخرج من غمده القلم
عندئذ سينال كل ذي حق حقه
فقوة الكلبة من جرائها

1943/3/18

* مجلة **روژانو** العدد 1 السنة 1943 الصفحة: 2

مرثيــة

ـ إلى روح محمد سيدا ـ

ربيع عمر الشباب كان بلا ورود ولا أزهار هذه السنة
براعم شجرة الفتيان لم تتفتح بل تحولت إلى جفاف
ما هذا الحلم الفجائي الذي فرّقنا دفعة
ياليت كنت تعرف ياليت، أصبحنا بعدك شاحبين
روحك تتطلب كثيراً من البكاء والنواح
أسف على شاب، رفيع القامة وسيم المحيا
وفيّ لاصدقائه، محبٍ لوطنه
لم أر في العالم أبداً صديقاً أفضل منك
تحياتي من بعيد على قبرك وجبل (جودي)
وأقدس من ماء الزمزم، نهر دجلة الصافي
إن كنت تتحسر على الأب والأخوة تحت التراب
فأنا بقيت وحيداً على الأرض، وأنين القلب
لاتتأسف على هذه الدنيا، لا. لايا أخي
فانية لا نهاية لها، ولاتندم يا أبا جمالٍ
إن مت مرة أنت، فنحن نموت يومياً مئة مرة
من شدة ظلم الزمن أصبحنا مجانين وُبكماً
الموت أفضل من هذه الحياة المشردة مائة مرة
لم تسمح العبودية أن نقتنص الفرص
إن استطعت أن تلتمس من الله باسم الشباب
قل له بعتاب وشكوى: (كفى هذا الحال).

* جريدة **روژانو** ، العدد 18 السنة1943، الصفحة: 4

الطريق الجديد

تلك الستارة السوداء
مظهر من الليالي المظلمة
أنا... سحبت عن وجهي
ومزقتها عن ناظري
ورميتها...
رميتها وراء الجبال
وراء آلاف البحار
غسلت اوساخ اذني بماء زمزم جديد
وقتلت جراثيم جسمي بدواء جديد
*** * ***
ذلك الصدأ في الرأس
الذي يمتص دماغي
أنا... اقتلعته من الجذور بالسكين
وأحرقته بالنار
ثم نظفته و(طهرته)...
نظفت منه رأسي
رميته من بابي
بعين بلا ستار، وأذن غير متسخة
أغذي الطريق الجديد بعقل غير صديءٍ
*** * ***
ذلك العفن الطفيلي
الذي يرعى في القلب
أنا... أقلتعته من جذوره
دمرت عشه...
ثم بددته...

في الأيام الماضية، والحقائق القديمة
للأصدقاء غير رفاق الدرب، حيّى في المرة الأخيرة

* * *

تلك الأوراق المهترئة، مزقتها من دفتري
في صفحة جديدة، جمعت آيات جديدة

* * *

إذن... برؤيتي
وسمعي
بارادتي وعقلي
ومسيري أيضاً
معتنقاً
أصبحت انساناً جديداً، مريداً لدين جديد
وشيدت في مدينة قلبي قاعة جديدة.

الشام 1944/5/25

الأسد قادم إلـى الوطن

الأسد قادم إلى الوطن
الأسد قادم إلى الوطن
أشرقت يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
*** * ***
لا صوت لجبال زاغروس
لا لون للحدائق والبساتين
لا معارك في الوديان
الأسد قادم إلى الوطن
الأسد قادم إلى الوطن.
أشرقت يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
*** * ***
بشرى لتلك الأماكن و
للريحان والورود والسنابل
على الجبال، في القلوب
أشرقت يوم كردستان
بشرى، لكم بارزاني قادم
*** * ***
تحررت (السليمانية)
وغداً سيأتي دور (موش) و(وان)
(مهاباد) و(سنه) و(بانه)
أشرقت يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم
. . . . . .

* * *

سوّدوا وجوههم
أدموا قلوبنا
من أثداء امهاتهم
سحبوا خناجرهم

* * *

من ساحة الشرف
كالثعالب هربوا
بأسلحة اعدائهم
أراقوا دماء اخوتهم

* * *

لم تستمد الثورة قوتها منهم
ولم تضعف بذهابهم
لكن هذا الانقسام
جعلنا أضحوكة العدو

* * *

أصبحوا اليوم بزاقاً
ينفخون على ضياء الشمس
دمروا بيوتهم
أطفأوا ضياءهم

* * *

في تاريخ الوطن
لهم مآثر عظيمة
من ثورة كردستان
مزقوا صفحتهم.

* * *

عاشت ثورتنا

ستعيش ثورتنا
بارزاني وجنوده
أحيوا الآمال الجديدة .

سيد آخر الزمان

صديقي...!
عدو جلدتي...
بكوات آخر الزمان
تلك السلة التي انزلتك
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً.
تفسخ حبلها
وانقطع في منتصف الطريق
سقطتَ
وقعت في البحر الأحمر
وصار البحر الأحمر
قبراً
البحر الأحمر كفنٌ
لفرعون وبعض الآلهة الصغيرة
موسى ومريدوه جميعاً
اجتازوا تلك البحار
دون جسر، ولا سفينة
تحرروا من الظلم
والحيف، غرق هناك
فرعون، ورقص عليه موسى.

* * *

نمرود الصغير
يرهبنا بالنار
ينفخ في القربة الفارغة
يا... قديم الزمان
ايماننا راسخ

وقوة أذرعنا
أقوى من ايمان ابراهيم
ليست أقل منه
أعرف هذا
يا رسول اللصوص
صديقي...!
عدو جلدتي
سيد آخر الزمان
وتلك السلة التي انزلتك
من السماء لن تعود للهبوط أبداً.
*** * ***
العظمة...
ليست بالممتلكات والأموال
ولا بتراث الاسلاف
العظمة...
في جوهر الانسان
هي بالعلم والمعرفة
نعم، نحن فقراء بالأوطان
لكننا، أغنياء بالمناقب
أغنياء بالأفكار
صديقي...
عدو جلدتي
سيد آخر الزمان
تلك السلة التي أنزلتك
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً
*** * ***
قصرك الفارغ من البداية

الذي حفرته أظافر العمال
الملطخ بالدم
والجروح
شيدته، وتحت سقفه جلست
كثير من الفقراء ماتوا جوعاً
سينهار على رأسك
ولن نتأثر لوضعك
لكن، نحن نريد
ونتمنى من أعماقنا
أن نعمل بسرعة
أطفالك الابرياء
عددهم تسعة أو عشرة
أنقذوهم من تلك المحنة
وجهوهم إلى الطريق القويم
الطريق الصحيح
طريقنا
هذا هو ايماننا
حطموا السلاسل
حققوا الهدف
القرن العشرين
قرن التاريخ القديم
يقول:
قل، لاتلتفت إلى اساطير العفاريت
لا تتأخر عن القافلة
قافلة الحضارة
والمدنية
الانقاذ...

بداية ونهايةالفلسفة
فلسفتنا
ها هي
الدين... والمذهب، والايمان...
ليكن الانسان إنساناً
صديقي...
عدو جلدتي
سيد آخر الزمان
تلك السلة التي انزلتك
من السماء، لن تعود للهبوط أبداً.

الشام 1942

*** مجلة روناهي، العدد** 5–6 **السنة الأولى**، 1961، ص33،34.

الوردة الحمراء

الوردة الحمراء
ارتفعت إلى العلياء
فاح العطر حولها
الوردة الحمراء
الوردة الحمراء
انتعشت وراء جبل قاف
احبها العالم كله

* * *

الوردة الحمراء
جميلة لنا
منحتنا العقل
شذاها نشوةٌ لنا
سنفرح بها بحرية

* * *

لطيفة
مفرجة الهموم
مزينة
وردة دون شوك
بين رياض (ايرم)

* * *

الوردة الحمراء
نتحلق حولها
نجتمع
نشمها
واحداً تلو الآخر .

1943 **الشام**

الوطن مثخن بالجراح

الوطن مثخن بالجراح، لا وقت للأساطير
أمام الناظر مشانق، لا وقت للغربة
ياحضرة جناب پيرەميرد، يا صاحب التجارب
لماذا أنت مهموم، لا وقت للثمل
أيتها الفتاة من چمچمال، الفتاة الكردية، المغناجة
لا تئني دائماً، لاوقت للدموع- للبكاء
أيها النالي المجنون، مفتون أنت من أجل قبلة
لا تقلل من شأنك، لا وقت للتضحية
الوطن مثخن بالجراح، المشانق أمام العيون
لا وقت للعشق، ولا وقت للسكر

*مجلة **گەلاویژ**، العدد 8 السنة 8 آب1947.

قائد الكرد... البارزاني

بارزاني...
بارزاني...
في معارك الوطن
في ساحات النضال
أنت البطل المغوار...
الشجاع...
أنت...
أصبحت...
حامي كوردستان...
أرسيت بنيان كوردستان...
أفضل
وأكثر
شباباً
من ذي قبل
بارزاني... بارزاني...

* * *

بارزاني... بارزاني...
من
لا يعرف
هذا
الاسم؟
كل من رأى
كل من سمع
في الشرق
في الشرق الأوسط

في الشتاء والصيف
من يحارب؟
من يناضل؟
يواجه عدة دول
أعداء الأمم
عدة دول استعمارية
من له هيبة وقوة؟
من يقف في وجه الاستعمار؟
*** * ***
عساكر نوري السعيد
تزحف كالجرذان
تحاول
تجاهد
أن تصطاد
ذلك الأمير
ذلك الأسد
جنود الترك وايران
وطائرات ترومان
لم تستفد أبداً
ولم تحصل على شيء
أيضاً على الجبال
وفي الساحات
يتحدث
يحارب
بارزاني...
بارزاني...
*** * ***

هزم الجحافل
حطم آلاف الكمائن
في كل الأماكن
كالرعد والبرق
يلمع... ويتوهج
ينخرط في المعارك
كأنها العرس
يجتاز الحدود
يخرق الجنود
عندما يصبح له رغبة
يغادر العراق
يجتاز تركيا
إلى شمال كردستان
يصبح سهماً
يشن هجوماً على ايران
هؤلاء العجم اصحاب الحشيش
والأفيون
يمسكون عن الغليون
يصابون بحمى الموت
ويقولون:
مرة أخرى
ظهر قابض الأرواح... بارزاني!

* * *

أيها الأخوة العجم
يا أخواني العرب الشامخون
واخوتي الديمقراطيون الاتراك

(الاخوة، قارداش*، برادر)**
نحن اخوة وجيران
أعداء الامريكان
الانكليز... الانكليز
حذار لاتكونوا اعواناً لهم
قائدنا البارزاني
ليعلم كل واحد
زعيماً للأحرار
من المشهورين الأحرار
هيا تحركوا
حوله اجتمعوا
قولوا: عاش البارزاني
منقذ الانسانية

1948 **الشام**

***حصلنا على هذه القصيدة من كتاب الأخ السيد مسعود البارزاني (البارزاني والحركة التحررية الكردية).**
***وجدنا في نسخة أخرى بالأحرف اللاتينية من قصيدة (قائد الكرد البارزاني) هذا المقطع بعد المقطع الأول.**
منذ السنوات
منذ الأشهر
عساكر نوري السعيد
ثم يأتي المقطع الثاني
من
لا
يعرف
هذا
الأسم ؟
.
.
.
من يحارب؟ من يناضل
سوى هذا البطل المغوار!

---

* تعني الأخوة باللغة التركية.
** تعني الأخوة باللغة الفارسية.

عوضاً عن (هزم الجحافل) في المقطع الثالث يضع في هذه النسخة:
هزم الجيشين
بدلاً (والأفيون) يضع:
قلوبهم خائفة.

عزاء القاضي محمد
(عزاء رئيس جمهورية كردستان)

يا للأسف
يا للأسف
يا للمصيبة الكبيرة
جرح بلا دواء
أنين من القلب
صرخة من الأفواه
ألف آه، وألف نواح
تنهمر الدموع من عيوننا
دموع الدم
تنساب مدراراً
* * *
يقولون إن الفرس – الغدارين
مدمني الأفيون
بأيديهم القذرة
نصبوا مشنقة الموت
قدموا رأس القائد أولاً (القاضي)
ذلك الموجه بلا نظير.
مع بعض وزرائه
سحبوه إلى المشانق
رفعوه عن الأرض!
في أفواههم الغلايين
في رؤوسهم الأفيون
قطعوا أقدام الأسود
أفعالهم منذ الأزل خيانة

وقتل وخداع واضطهاد

*** * ***

لن تلقى خيراً يا جون بول
الانكليزي.
للغدارين اولئك
أحضرت لهم هذه الخدعة
وجهك الأسود
أيها الديوث
يا عديم الشرف يا ترومان
تكفي طائراتك
أذربيجان وكردستان
فقد جعلت أطفالهم
وعائلاتهم دخاناً

*** * ***

استبشروا خيراً من الانكليز والامريكان
من الغدارين العجم وسلاطين الاتراك
إنهم يستطيعون قتلنا
لديهم المدافع والقنابل
يبيدون الأطفال والعائلات
لديهم الطائرات...
ليعلموا أنهم
مهما قتلوا الكورد
ستعيش الكردية
إن بقي رجل وامرأة.
سيأتي يومنا دون شك
يوم الحقيقة
في تاريخ البشرية

ويظهر صاحب الحق

*** * ***

يا شهيد كوردستان
يا إماماً مشهوراً
إن قتلك العدو
فسيبقى اسمك
الرائع إلى الأبد.
كلما كانت أقدامكم
تتأرجح على رؤوسهم
فروحكم ترتفع عالياً
أكثر نحو السماء.
نعرف...
أنكم لن تخافوا من أحد أبداً
وعلى أعواد مشانق الاعداء،
نعرف
كم كنتم تسخرون
من مشانقهم
وقنابلهم الذرية
لهيبها من قلوبنا
لايمكن أن تبرد أبداً
ولا تنطوي اكتافنا
أيها الشهيد الأبدي
مع ألف السلامة
احمل تحياتنا لهم
كلنا مسافرون في هذا الطريق
سيعيش اسمك
وستعيش كردستان

في روحك
تُحيي التاريخ والروايات.

الشام 1948

ذاهب أنا إلى موسكو

كلهيب النار في قلب متعبد يذهب إلى الحج
كحماس عاشق يذهب للقاء حبيبته
كعناد طفل يتسلق صدر والدته
أذهب إلى موسكو
فمي وقلبي يسبقانني دائماً
اطفالي الثلاثة يجتمعون حولي
يطلبون مني هدايا من موسكو

* * *

ركبت السفينة
مع خمسمائة صديق
كل واحد منهم أكثر تحمساً مني
البعض منهم عرب
والبعض أيضاً جراكس وكورد وأرمن...
فالجميع قلب واحد ولغة واحدة
لغة الصداقة والسلام
يذهبون كالاخوة إلى موسكو
بالاغاني والدبكات والرقصات
بعددهم الكبير
ومع أمواج واسماك البحار
هكذا وصلنا إلى الدردنيل
ثم إلى اسطنبول
موطن ناظم حكمت
اهتز ناظم حكمت الطفل
في ذلك المهد
والدته الرحيمة هناك

تغني لناظم الطفل أغاني الحرية
صوت ناظم حكمت الكبير هناك
أطلقه أمام الاستبداد
هذا الموطن اليوم حزين
لابتعاد ابنها المضحي
والوفي... إنه يئن...
تحت أقدام أمريكا وبائعي الأوطان

*** * ***

وصلنا إلى اوديسا
محشر الأخوة
اتت مجموعات، مجموعات من الناس، نساء ورجال،
عجائز وأطفال ينتظروننا
تجمعوا وتجمهروا
نشتاق إلى بعضنا
احتضن بعضنا بعضاً
تعانقنا مع بعضنا
تنهمر دموع الفرح والسرور
من العيون على الوحدة
صوت (عاشت الصداقة والسلام)
يرتفع إلى السماء
كان هذا في كل المدن
وأيضاً في موسكو
في وطن الجنة
أناس كالملوك
قلوب صافية
مبتسمة
وجوه مشرقة

لا أعرف كيف تبحث أيادي النازية
الحمقاء عنهم!
التحية، بعدها هم... لكن سحبت أقدامها
سحبت أقدامهم منها،
هذه هي المعجزة...
عندما تطاول العدو
على هذه البلاد
تحولت خراف البلد إلى محاربين

* * *

وصلت إلى موسكو
كلهيب قلب زاهد يصل إلى الحج
كحماس عاشق قد وصل
إلى حضن حبيبته
كهيجان طفل ينهض إلى صدر والدته.
أنا وصلت إلى موسكو.

1957/7/26

القمر الأحمر

القمر الأحمر
علامة السلام
ارتفع عالياً
بشرى للصداقة
وصل إلى القمر ونجوم السماء
خرجت...
دعوة للسلام والصداقة
بالفرح
بالابتهاج
أرقص معهم
في السماء
*** * ***
يتامى هيروشيما
و... ارامل ناغازاكي
... لايفزعون
القمر الأحمر
ولا القنابل الذرية
كالوردة الحمراء
ارتفع عالياً
تفوح حوله رائحة الصداقة
*** * ***
القمر الأحمر
وصل إلى السماء يتجول حول العالم
لا يرهب أحداً
بقلب أمين

يرسل لنا السلام (التحيات)
يستطيع ان يملأ داخله بالقنابل
ويهب نفسه لواشنطن
ولندن...
هيروشيما وناغازكي
دمر... لاتدع حجراً على حجر
اجمع رؤوس مثيري الحروب
حررهم من المصائب
الكورد البؤساء
العرب الفقراء
الكورد المضطهدين
هناك اناس لا ذنب لهم
يوجد تسعة أو عشرة ملايين
شخص
اناس لا ذنب لهم. للأسف
القمر الأحمر ليس قاتلاً
صنع من أجل البناء
علامة السلام
بشرى للصداقة
يعيش القمر الأحمر
يرتفع...
كالوردة الحمراء

الشام 1957/10/19

الرابع عشر من تموز

تموز.
مزقت الليالي المظلمة
مزقت الشتاء السوداء
الرابع عشر من تموز
يا أيها العيد المقدس
أنت موت للقتلة
للأفعى المستبدة
*** * ***
الأفعى المستبدة
تحركت
اهتزت
على أرض العراق
سحقت
تحطمت
تحت أقدام العرب والكورد
معاهدة بغداد
ذلك الميثاق الخائن
تلك المعاهدة
ذلك القرار
ذلك سم الأفعى
انياب الكلب الشرس
من لندن
أرسلوها هدية
للعملاء والسرطانات
مع بعض الدراهم
*** * ***

في سبيل موت طالبي الحرية
مثل الكورد والعرب والفقراء
من لندن...
نعم...
نعم...
من لندن...
أرسلوها هدية
*** * ***
ذلك قرار الحاكم
قضى على عملائه
ذلك القرار وتلك المعاهدة
أصبح دواء للشعب
للعرب والكورد
أكثر من ذي قبل والأكثر
للوطن
للتحرير
للأصدقاء والاخوة الخلان.
*** * ***
جمهورية العراق
يا نجمة الضياء
جمهورية العراق
أضيء الوطن بك
انبعث نورك ولف الكون
الى الأعلى والى الاسفل، في اليمين واليسار
الفرس والترك والكرد والعرب
مسرورون بهذا اليوم
سعداء بهذا العيد

وكل الذين يطالبون بالحرية
يفرحون لك
يا قاهر العملاء
يا صاحب (كورزي) الثقيل
قهرمان...!
مرحى، ألف مرحى.
عاش حاكم العراق
مع الاصدقاء الاوفياء
حررتم الوطن
بغداد، وجزءاً من كردستان
إلى الأمام، إلى الأمام، إلى الأمام
أشرقت الشمس من زمان
كنا ننتظر هذا اليوم
نتمنى هذه الغاية
الحرية، والأخوة
السلام
بين جميع البلدان
في كل مكان، تتولد
صداقة أزلية
بين شعوب العالم
تصبح قانوناً ودستوراً
بين الأمم الصغيرة والكبيرة
من القلب والروح والكيان
الانسان، شقيق الانسان
الانسان شقيق الانسان.

الشام 15تموز 1958

* **مجلة هيوا، العدد** 3 **السنة الثانية**، 1958، **ص** 49، 50 .

قافلتنا

لم نكل ولم نمل أبداً
على هذه الطريق البعيدة
على الطريق الصعبة
نمضي وسنمضي
باتجاه هدفنا
* * *
على بحار الدماء
في الجبال المشجرة والادغال
في السهول والأشواك والمصائب
الوديان الضيقة والمظلمة
اجتزناها
* * *
تحت الامطار
على الثلوج
مع الرياح والهواء
في الكهوف
رأينا كل شيء
حفاة
عراة
تمضي قافلتنا
باتجاه هدفها
* * *
مع الحيوانات البرية يداً بيد
مع العفاريت وجهاً لوجه
حاربناهم
هم قتلونا

نحن قتلناهم
لم نخف
لم نفر
تمضي قافلتنا
باتجاه هدفها.
* * *
وصلنا إلى جبل القاف
اقترب، اقترب الهدف
لاحت جنة الكرمانج
آه...
لن تصل بسلام
ورود تلك القافلة
تأخرت
والفقراء الضعفاء
ظلوا... عن جنتنا بلا نصيب.

الشام 1959/9/28

* مجلة روناهي،ا العدد11 السنة الأولى، 1960، ص151

رسالة إلـى اذاعة طهران

الأمان...
اذاعة طهران
أيها الاخوة الكورد منذ الازل
يا صوت الاسير
أيتها اليد المقيدة بالسلاسل
الأمان...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للإستغاثة والانين

* * *

في العراق
الكورد والعرب
مزقوا معاً
جميع المعاهدات والمواثيق
المواثيق الاستعمارية
يعيشون بحرية
في الوطن المقدس
دون مرتزقة ولا جواسيس
دون آه... ولا أنين
الأمان...
اذاعة طهران
أيها الاخوة الكورد منذ الازل
يا صوت الاسير
أيتها اليد المقيدة بالسلاسل

الأمان ...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والأنين
*** * ***
أبك... أصرخ
في سبيل الإمام
لا تبك لإناس متحررين
أبك في سبيل مهاباد
أبك في سبيل العاصمة التي أبيحت
أبك على التقسيم: الوطن المجروح
اذرف الدموع
من العيون
لا تبك
اذاعة كوستاخ
الصوت المدمر علينا
الأمان...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والأنين
*** * ***
الثورة في العراق
سوّدت وجوه جواسيس العالم
الكورد والعرب أخوة
على طريق السلام

بقلب واحد وروح واحدة
حرروا الاوطان
الأمان...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والأنين
*** * ***
يا حماة الشاه
انظروا إلى الرقبة – الرقبة المشدودة
اليد المقيدة
أيها الاخوة الكورد منذ الازل
ابكوا، في سبيل داء بلا دواء
ابكوا وتأوهوا
في سبيل الارامل والاطفال
في سبيل اليتامى بلا مال ولا مأوى
ابكوا في سبيل الجائعين
ابكوا في سبيل الدموع المنهمرة
والقلوب الحزينة
ياترجمان الشاه
ابك في سبيل (وان) و(بدليس)
لا تبك في سبيل الشيطان والإبليس
الأمان...
اذاعة طهران
أيها الاخوة الكورد منذ الازل
يا صوت الاسر
يا أيتها اليد المقيدة بالسلاسل

الأمان...
لا تصرخ
في سبيل كورد العراق
الكورد المتحررين
لا داعي للأستغاثة والانين.

1958

*** جريدة أزادي العدد** 46 – 1959/12/18 **الصفحة** 3.

عيد اكتوبر

في بلاد القياصرة قبل
ثلاث وأربعين سنة خلت
اندلعت ثورة اكتوبر بزعامة لينين
رفع الكادحون
والعمال، والفلاحون
كأمواج البحر
راية ماركس
ولينين العظيم
في المقدمة
هجموا على القلاع والاسوار
التي شيدت منذ آلاف
السنين
عمل على إسكات صوت المدافع
بالمنجل والمطرقة
وانهارت المتاريس الفولاذية
الواحدة تلو الاخرى
داس الشعب
على جثث القتلة
حرروا الشعب المقيد
من أسر الاقطاعية
يحتفل جميع كادحي العالم بهذا العيد
تستمد بلدان العالم من شعاع اكتوبر
ضياءها، شرقاً وغرباً
حتى كوريا وبكين
تحول جحيم القياصرة

إلى جنة
تتناغم النجوم الحمراء في السماء مع القمر
في عصر الذرة، وسنوات
الاحلام الحمراء
يرفع فرعون رأسه
من مومياء القبر
كأسلافه يقتفي أثرهم بالدم والدمار
فتح جبهة في خاصرة مصر وسوريا
آلاف من الجراح
منذ ثلاث شتاءات
يطالب محبو حرية البلاد
رموا فرعون أخر الزمان إلى السجن
صنعت اليد النظيفة الغابات
وحوّلت المتحررين إلى أمراء
تناسى فرعون نهاية هتلر وموسوليني
سنبارك اليوم رغم الجدران السميكة
عيدنا، عيد اكتوبر، فالخلاص
قريب، وليس بعيداً

سجن مزة 1960/11/7

ثورتنا في السجن

بصوت منا، هززتم السجن
بصرخة منا دمرتم القلعة
سترون ضربتنا أيها الجلادون
من خلف القضبان كسرنا هيبتكم

* * *

أرتديتم جلد الاسود كالثعالب
أخفتم أطفالنا وعائلاتنا
قالوا ربما انسحبوا من ساحة النضال
اليد المقيدة نزعت القناع عن وجوهكم

* * *

صبرنا كثيراً عليكم
كل يوم تزدادون نذالة
مسح قليل من الغضب عنكم
سفينة كرامتكم غرقت في بحرنا

* * *

رأينا البرد، ولم تبرد همتنا أبداً
لم ننحن من شدة حمل البراميل بعد
لم نفقد بصيرتنا في السجن ليلاً ونهاراً
بقوة ارادتنا مزقنا حناجركم.

* * *

عاشت وحدة معارك الاقفاص
أصدقاؤنا يرفرفون في السماء
نحن ضياء لظلمات العالم
زرع لينين بذور السلام.

سجن مزة 1961/4/5.

مرثية جلادت بدرخان

أمير الكرد
ابن كوردستان البار
حفيد بدرخان
جلادت يا صاحب التضحيات...
إن كان جسمك قد أودع الثرى
فإن روحك سرمدية
تعلو إلى باريها وتحمل في ثناياها التضحية
في سبيل الوطن ومن أجل العهد والميثاق
كانت روحك قرباناً وفداءً
ولتبق في وجداننا خالداً أبداً. *

*** هذه القصيدة – مرثية منقوشة على شاهدة قبر الأمير جلادت بدرخان، نظمها الشاعر قدري جان.**

* حصلنا عليها من كتاب – حي الاكراد – للأستاذ عزالدين ملا.

ترجمة

شعرة بيضاء

على أثر المنفلوطي

وقفت اليوم صباحاً أمام المرآة، لاحظت شعرة بيضاء انتصبت بين غابة سوداء، لمعت كالبرق في ليلة ظلماء، ارتعبت، وكأن سيفاً بتاراً هوى على رأسي فجأة، أو كأن كائناً يرتدي البياض قد هبط من السماء وفي يده راية بيضاء يبشرني بالموت... اعرف أنه الشيب داء بلا دواء، أو خيط من نسيج الكفن.

أيتها الشعرة البيضاء، لم أر بياضاً أكثر من بياضك المشؤوم، ولا نوراً أكثر من نورك المظلم، أنت التي تحولين كل بياض ناصع إلى سواد قاتم أمام عيني. تحولين ضياء القمر أسود، وأشعة الشمس وضياء عيني أسود، يتحول بياض إلى سواد مظلم داكن كغراب أسود. وقلب أسود وحظ أسود...

أيتها الشعرة البيضاء! من أين تسللت إليّ؟ وكيف وصلت إلى صدغي؟ بأي خديعة دخلت؟ كيف تبقين وحيدة دون صديق أو أنيس ضمن هذه الغابة المظلمة؟ ألم تخشي من الظلام الدامس؟ كيف تجرأت واستوطنت هنا؟

أيتها الشعرة البيضاء! من أنت؟ ماذا تنوين؟ من أرسلك إليّ؟ ماذا تفعلين بين الغابة السوداء؟ أراك تتمايلين وتهمسين في أذن جيرانك وتقنعينهم أن يرتدوا البياض، هل سترمين فتنة أو معركة فيما بينهم؟ أنت كالانسان الأبيض الذي يحتل (يستعبد) الانسان الأسود وتجعلينهم عبيداً لك.

إن كنت ضيفة فمن سمح لك بالدخول؟ كان عليك أن نستأذني. وإن جئت إليّ كصديقة، فأنا لا أريد الصديق الذي يسهل طريقي إلى القبر. قسماً إنك كالأفعى السامة تبثين سمومك في من تصادفين. وتعرفين ماذا تريدين.

أيتها الشعرة البيضاء! لقد تذمرت منك كثيراً، لكن أرى من الصواب أن تبقي كما اخترت مكانك. وستبقين كما أنت معززة ومكرمة. وسيبقى جلالك ووقارك يسبق اسمك... ها هو رأسي أقدمه لك مرتعاً، تسرحين وتمرحين كما يحلو لك.

أعرف أنك نذير الموت، نذير تلك الطريق التي لا مفر منها، استميحك عذراً عما بدر مني من اهانات... لايحق لي أن أغضب، ولم أر الخير في شبابي وعنفواني، كي أخاف من شيخوختي؛ ولم أتذوق حلاوة الدنيا كي تعكر مرارة الآخرة حياتي.

جئت على الرحب والسعة أيتها الشعرة البيضاء.

الجديدة 1943/3/3

* مجلة روناهي العدد 13 السنة 1943 الصفحة 7.

في بلاد الزنابق البيضاء

الكاتب: كريكوري بتروف
ترجمة: قدري جان

مقدمة

ترجمت هذا الكتاب قبل خمس سنوات بتشجيع من الدكتور أحمد نافذ بك إلى اللغة الكرمانجية، كنت أتمنى أن ادفع الكتاب إلى المطبعة ذات يوم، وأقدم هذه المقالات في كتاب خاص مستقل للوطنيين الكورد وخاصة الشباب الجدد، لكن للأسف، لم يتحقق الأمل المنشود الذي كنت أنتظره حتى اليوم.

لاحظت أن السنوات تمضي كسيل الماء الجارف، وأن الصفحات (الأوراق) التي كتبت عليها بدأت تتمزق وتهتراً تدريجياً، تأكلها العث والفئران. من جهة أخرى لايعرف المرء متى تدركه المنية، لذا كنت أخشى ألا يتحقق أملي الذي كنت أجاهد من أجله بعد عمل طويل وتعب مضن دام طويلاً، قد تضيع المقالات أو قد تتمزق، لذلك أردت أن أنشر الكتاب كله في حلقات على صفحات هذه الجريدة (روژانو). وإن يسر الله فستضم هذه المقالات ذات يوم في كتاب، وتجد النور أيضاً.

لست بحاجة إلى أن أمدح هذا العمل، بل سيعرفه قراؤنا عندما يقرأونه أن له أهمية كبيرة لمجتمعنا . وأملي أن يقرأه الوطنيون ويأخذوا منه العبر.

قدري جان

العبرة من التاريخ

ظهرت فجأة قبل (50) سنة تصدعات في جدران قصر من قصور الدولة في موسكو، وكانت التصدعات ظاهرة للعيان من الأسفل إلى الأعلى، يوشك القصر ان ينهار فجأة، ويطمر كل شيء في الداخل والخارج معاً.

حضر المهندسون، وفتشوا عن أسباب التصدع، فتحوا عدة أماكن في أسفل القصر، ثم اكتشفوا أن قصر موسكو الكبير قد اهترأ وانتهى عهده ولابد أنه سيهدم لأنه بني في زمنه على أساس (أرضية) هشة.

عندما بوشر العمل في ترميم القصر، وجدوا أن الأرض التي بُني عليها القصر، هشة، لذلك نصبت عليها أعمدة هشة، ووضعت الأحجار الكبيرة على شكل جدران، مدعمة بالأعمدة والاوتاد.

لقد كان أساس البناء في تلك الفترة قوياً، كانت جدران القصر حقيقة قديمة منذ سنوات، ورغم ذلك لايمكن أن يستمر القصر مهما تقدم الزمن، تصدعت تلك الأعمدة الكبيرة تحت الأرض لذا ... فقد ترك آثار تصدعات على جدران القصر.

قال المهندسون: ماذا نفعل جراء هذا الخطر؟ فكروا كثيراً ثم اهتدوا إلى فكرة التخلي عن ترميم القصر، حفروا الاساسات من الاطراف تدريجياً، وأخرجوا الاوتاد المهترئة، استبدلوها بأحجار ثقيلة، هكذا غيروا وجددوا أساسات القصر... وأصبح القصر القديم باساسات جديدة، بجهود مهندسين مبدعين، ومازال القصر حتى الآن قوياً غير مهدد بالانهيار.

إن تاريخ الدول، وحياة الشعوب، يشبهان في ذلك قصر موسكو، إنه أساس انظمة الدول وأشكال إدارة الشعوب القديمة، قد يبدو للناظر جميلاً أثناء بنائه وقوياً أثناء انشائه،لكن يضعف مع مرور الزمن، وتضعف معها ادارتها وأساسها، وتبقى بلا فائدة.

قال الأسلاف قديماً: (إن المجتمعات الحديثة تجلب معها ثقافتها الجديدة) كلما مضت الأيام قدماً، تغيرت الأجيال وتجددت الانسانية. يبسط كل قرن (حقبة) معه أفكاراً جديدة، وتغييرات حديثة وتطورات تلائم الفترة الزمنية، لن يقبل، بل يرفض كل الحقائق القديمة، والأصول والعادات الماضية، يتطلب للجيل الجديد قواعد جديدة وبنية قوية.

إن كان زعماء الشعب ذوي الارادة القوية يتلقون ثقافة جديدة، ويتخلون عن الاشياء القديمة كي ينقذوا أنفسهم من الانهيار، مثلاً ترميم الأبنية، تغيير الانظمة بحكمة وترو وعدل. لاتريد بعض الدول أن تفهم، أو أن رجالها لايريدون أن يفهموا التربية الحديثة وديناميكية الشعب،

عندها ستتدمر وتنهار جدران قصر الدولة، ويزداد التصدع، بل يتعمق أكثر في جميع أطرافه، ولايهتم أحد به... يظهر وجه الدولة القوي من الخارج في سبيل تحقيق أهدافها، ويجب ألا يهتم المرء ولايحتار أو يقلق لهذا الدمار والخراب. كانت ايران القديمة، وروسيا الكبيرة مليئة بالذهب والنحاس، وقد تدمرت المانيا بسمارك وويلهلمان وانتهت.

قيل في الكتاب المقدس: (وجدت بين جدران سراي حكومة ظالمة وقاهرة كلمات مكتوبة بالنار في زمن ما... Maneteke Faresi لم يفهم أحد معنى هذه الكلمات، وقد فسر دانيال الحكيم هذه الكلمات. (تشير هذه الكلمات النارية، أنه سيحدث شيء غريب جداً، يعني إن الدول القديمة ستنهار قوتها الحياتية، ومهما يكن فإن مصيرها الزوال والاندثار).

أصبحت امبراطورية روما، والدولة البن، وسلطنته الاسبانية، وحكومة لويس الخامس عشر في فرنسا، ورومانوف الروسي، وهوهنزولرن الالماني، وهابسبورغ النمساوي ضحايا الكوارث وفي حكم التاريخ المندثر لذلك: (Manetekel faresl).

فكروا بهذه القضايا جيداً، لايتمرغون كالديدان والصراصير في مستنقعات أمراضهم وآلامهم. فكروا بتجديد بنيةالدولة عوضاً عن هذه الأشياء ثم فكروا باستعادة تربية الشعب. يكتب التاريخ نتائج وهزائم (فجائع) لبعض الدول والشعوب، لأجل رقي وتطور عدة دول وشعوب تمتلىء صفحاته الغنية بأسلوب قوي...

التاريخ علم ينقذ الانسان الذي يشبه قطيع الحيوانات من حياة النمل والصراصير التي لا شعور لها، ويظهر لهم حياة رغيدة سعيدة، ويعلم الانسانية كيفية اتقان مئات المهن، وتهيئة قوة الدولة، ويوضح لنا تربية المجتمع.

الرجال الأبطال والشعب

تمضي الحوادث الغريبة على الدول، أو يتبعون أيضاً، وتحقق بعض الشعوب الأخرى حياتها في رخاء بين الحكام. يجب ألا يرتبط الحكام والوزراء والمبعوثون بهذين المثالين فقط، يجب أن يهتم أفراد الشعب جميعاً بهذين المثالين.

يجب أن يعمل الرجال والنساء والشبان والعجائز والقرويون وأهل المدن، والذين يعملون بالفكر والذين يعملون عملاً يدوياً، والجميع يفكر بهذه الأشياء.

لا تتطور الدولة بقوة الرؤساء أو ضعفهم، ولايرتبط تخلف المجتمع أو تقدمه بمعرفة الرؤساء أو جهلهم، لا... مهما كان الرئيس متعلماً أو جاهلاً، جيداً أو غير ذلك، ظالماً أو عادلاً يبقى مرآة لمجتمعه، محدود بروح شعبه، لأنه يخرج من الشعب، مثلما يكون الشعب كذلك يكون الرئيس. لذلك يقولون: (كل شعب يجد لنفسه ادارة مناسبة).

أتمنى أن تسمحوا لي، بالتوقف حول هذه الحقيقة التي لم يعرفها أحد، وأسلط الضوء عليها. لماذا رويت هذه الفكرة التاريخية والفلسفية منذ القديم، وقد حدثت مناقشات حولها. هذه هي الفكرة:

من يصنع تاريخ الشعوب؟ تجري أحداث عظيمة بين الدول والبشرية، من يطورها؟ من يقودها؟ ماذا يصنع الفرد لوحده؟ يقول المفكر الانكليزي كارليل: من يصنع التقدم والتطور، الأبطال أم تتم بخيرات أفراد الشعب وبحماس روحهم؟ تبنى كارليل الفكرة الأولى وقدم لها الاثباتات. وقد دافع ليف تولستوي عن الفكرة الأخيرة.

ينشر كارليل في كتابه (الأبطال، وتاريخ الأبطال) أن مذهب الأبطال هو ثقافته، وتهذيبه.

يرى كارليل: أن المجتمع يشبه طبقة الغضار، إن لم يتدخل أيدي الصانع فيبقى بلا شكل ولا حركة. لكن الصانع والأبطال مثل سيزار ونابليون، وبطرس الأكبر، وسقراط ومحمد... يستطيعون أن يحولوا معالم الكتلة بين أيديهم، ويصنعوا منها شكلاً جديداً. جمع جنكيزخان من سهول آسيا ملايين الناس حوله، وأحتل الصين والهند، وروسيا القديمة وايران، جعل بيتر اميسوسكي أوربا الكاثوليكية كلها تثور، بل أقام أوربا ولم يقعدها في سبيل احتلال القدس من الاسلام، صنع مارتن لوثر النهضة Refermasion، استولى نيرون وكاليجولا على روما القديمة ودمراها، هزت سياسة بسمارك، وهوهنزولرن المانيا كلها.

المنقذ هو الذي يصنع تاريخ الشعوب وحتى تاريخ البشرية كلها. العقلاء والاقوياء معنوياً هم الأبطال، رمسيس وروموولوس وThemistokl ولوثر وبسمارك وآخرون. يطرح ليف تولستوي عكس

هذه الفكرة ويقول: (إن الذين يصنعون التاريخ ويدوّنون الاحداث والنتائج ويحددون أشكال وملامح الاحداث ليسوا نابليونيين، بل هم المجتمع (الشعب ذاته) من جهة أخرى يقول توماس كارليل: إن الشعب مثل التبن المرشوش على التراب، فالأبطال يعني العظماء كالعاصفة يهبطون من السماء يجمعون التبن، ويبثون روح الحركة في المجتمع... يفسر ليف تولستوي بشكل آخر إذ يقول: تصوروا أن سفينة كبيرة تتحرك في البحر، وتدفع أمامها شريطاً من الماء تبتعد دائماً، من يستطيع أن يقول أن شريط الماء يسحب السفينة وراءه؟ واضح أن حركة الماء تصنع من شدة السفينة، ويبتعد الماء عنها، فالقوة كامنة في السفينة. هكذا يقول تولستوي.

تظهر قوة الحركة لدى شعب ما، يتحرك لنفسه، وتبعد الماء التي أمامها، تختار شخصاً من بين المجتمع وهو الذي يحيي حياة المجتمع.

لو أن صاحب رواية (الحرب والسلم) ليف تولستوي وافق على فكرة كارليل التي تقول أن برقاً يهبط من السماء أو فكرة البطل لكان قال هكذا: نعم، الرجل العظيم بطل، عاصفة (برق) لكن المجتمع ليس طبقة من الغضار، وليس تبناً مرشوشاً. (المجتمع) هو صاحب ذلك البرق الذي خرج من بينه (أو صنع بينه) عندما تمتليء الغيمة أو الغيوم بالكهرباء يتولد البرق بذاته. إن لم تكن الكهرباء في الغيمة، لما وجد البرق أيضاً، لاتجتمع الغيوم إن لم تكن من بخار الماء، والشعوب هكذا. إن وجد العظماء والأبطال في المجتمع يخلق البرق من المجتمع ويخرج منه الأبطال.

من خلال نظرة أولية نلاحظ أن النظريتين متضادتين. ويجب أن يختار المرء أحداهما. ترى من يقول الحقيقة كارليل أم تولستوي؟ إن هذا التضاد الموجود بينهما واضح وصريح. والصراحة أن النظريتين ليستا متعارضتين متعاكستين، فالنظريتان تكملان بعضهما. يجب ألا يقول المرء: إن كارليل يقول الحقيقة ولاتولستوي، فالاثنان صحيحان. الاثنان وجهتان لعملة واحدة، كل واحد منهما يمتلك نصف الحقيقة.

يبعث الابطال روح الحماس في الناس، لكنهم يستمدون الهيجان وقوة النيران من المجتمع ويحرقونها. كما لو أننا نحمل عدسة (محرقاً)، لقد صنع المحرق هكذا، مهما توزعت الاضاءة على سطح المحرق، فتجتمع في نقطة واحدة. تلمع آلاف الشعاعات الشمسية في نقطة واحدة، تحرق تلك النقطة بقوة حرارتها أشياء كأوراق الصفحات والتبن والحطب، وتسخن الحجر والزجاج والحديد.

إن أبطال الشعوب يشبهون المحرق يجمع هو (شخصه) قوة ووصايا الشعب، ويشكل بهذه القوة روح ملايين الشعب، لكن إن تحول إلى غيمة، فيحرم من شعاعات الشمس، عندها لاتوجد أي عدسة تذيب الثلوج، ولاتستطيع أن تسخن نقطة ماء.

يصنع السويديون الجبن من أبقار الجبال، فالرجال الذين خرجوا من بين الشعوب المختلفة والأزمان المتعددة هكذا يكونون، إنها تشبه رائحة ورود الشعوب المتفتحة حديثاً.

لم يخرج نابليون من الصين القديمة مسالماً بل خرج من فرنسا، ربت انكلترا داروين الذي قدم نظرية بعنوان (أسد الحياة). وأخرجت روسيا تولستوي إلى الساحة.

إن هذا يجري في كل زمان وفي كل مكان، لم يدفع ويلهلم المانيا إلى الحرب الكبرى، بل روح المانيا الغاصبة والمحاربة، كانت افادة ويلهلم وبسمارك وهيزنبورخان نيرون وكاركالا روما القديمة أنهم لم يدمروا روما القديمة. كل شعب يقدم رجلاً يستحق التقدير لادارته، عندما يأتي أحد منهم فيرتفع معنوية الشعب. هل يوجد بين الشعب شيء له أهمية أم لا؟ أم يتكون؟ يتطور وعي المجتمع أو لا؟ هل يتجه إلى نوع من الدمار؟ ويقبل بحياة فقيرة تعيسة؟

يظهر هنا شخصية كل واحد منا، ويتوضح عمل كل واحد منا. ماذا نفعل في بلادنا؟ أي دور نتخذه في سبيل اهداف مجتمعنا؟

توجد في البحار السفلى بعض المستعمرات المرجانية، يتكون المرجان من الكلس، يفرز حيوان صغير من داخله مادة تدعى (pop,p)، لايتذكر أحد أنه يصنع من هذه الافرازات مع مرور الزمن جزيرة (مستنقعاً) حتى أن الانسان يسكن ويستقر على هذه الجزر. أيضاً توجد في العالم الآخر مستعمرات من النمل الصغير، ويصبح النمل آفة لأولئك الناس، يأكلون مايتوفر في البيوت ويضطر الانسان أن يهجر منهم.

سنأتي هذه المرة إلى وضع بلادنا، ما هو عملنا في الوطن؟ هل يتجه هذا العمل نحو الهاوية أو للاعمار؟ نستطيع أن نضرب مثالاً لبلد صغير وفقير بأن سعادة الوطن ورفاهيته، واحترام الشعب وشرفه مرتبط بارادة الناس. إن ذلك البلد الذي يقطن فيه مليونان من السكان هو فنلندا تقع فنلندا في شمال أوربا، مناخها جاف وضبابي دائماً، يتجمد ماؤها في الربيع، يبدأ البرد والصقيع في شهر آب، أرضها قاحلة وعرة. وقد شيدت أماكن كثيرة بالصخور الكبيرة. ولايوجد في البلد ثروات معدنية، أما الزراعة فيها صعبة جداً، ولم يتمتع شعبها مرة واحدة حرية الاستقلال بالكامل. كان يحكمها كل مرة دولة استعمارية، يطلق الفنلنديون على أنفسهم (سوم)، ويطلقون على بلدهم الجميل (سومي) أو (مستنقع).

تاريخ سومي (فنلندا)*[9]

زرت فنلندا كثيراً وتجولت فيها، وعشت في المدن الكبيرة وفي الجبال والبحيرات. حيث رأيت كل شيء في فنلندا ألعابهم وطريقة حياتهم اليومية، واحترمت ألحانهم وأغانيهم، ورساميهم ومسرحييهم وأدبهم وذكرياتهم، أقول هذا بكل احترام واجلال من القلب وكلما مررت بجانبهم كنت أحتار أكثر. احترمت كثيراً وقدرت جهود هذا الشعب الصغير غير المعروف كثيراً، يوجد لدى الشعب الفنلندي شيئان يستحقان الكتابة والتوقف عندهما:

1 ـ لم ير الشعب الفنلندي حتى ثورة 1917 استقلاله في حياته في ظل قيادة روسيا.

2 ـ لم يخلق هذا الشعب زعيماً كبيراً وحيداً بعد، إنما العمل والحضارة تتأتى من أفرادها فقط.

يقع الشعب الفنلندي في شرق وشمال روسيا في الزاوية الأخيرة، يحدها من الجهة الأخرى السويد، كان الشعب الفنلندي تحت حكم السويديين حتى عام 1811، كانت معاملة السويديين مع الفنلنديين تشبه معاملة النمسا مع الصرب والبوسنة والهرسك والفولفويدينا في ذلك الوقت، أو كمعاملة الاتراك في زمن الامبراطورية العثمانية مع البلغار، كانت الوظائف الحكومية والمراكز القيادية والادارية، والوظائف التجارية والمصانع والمدارس تحت سيطرة السويديين، وكانت الوظائف المأمورية والادارية والحكام والضباط والرهبان تختار من قبل السويديين أيضاً. كان السويديون يتباهون بحضارتهم، وينظرون في نفس الوقت إلى الشعب الفنلندي بعين الاحتقار وبنفس الاسلوب كانوا يزعجون الفنلنديين.

كان الشعب الفنلندي يشبه السويدي في حقوقه السياسية، لكن من ناحية الفكر والاقتصاد والاخلاق فقد كانوا أقل منهم ومتخلفين عنهم، وقد أثر هذا الوضع على دفع عجلة الشعب الفنلندي إلى الامام. كانت الوردة الفنلندية منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى عام 1810 محبوسة في مخزن لاتنشق الهواء، ذابلة دون رائحة. عندها لم يكن بعض الفنلنديين يعرفون سوى القراءة والكتابة.

دارت معركة بين روسيا والسويد في عام 1808 واستولى القيصر الروسي الكسندر الأول على نصف فنلندا ثم جرى اجتماع في مدينة فنلندية (Borago) دعى الفنلنديين إلى الاجتماع وسألهم:

---

9 فنلندا Finland, Suomi: جمهورية في اوروبا الشرقية الشمالية على بحر البلطيق. تقع بين الاتحاد السوفيتي (سابقاً) والنروج والسويد. عاصمتها هلسنكي. يقوم اقتصادها على الغابات (ثلاثة أرباع مساحتها) والحديد وتربية الأنعام. (المترجم).

ـ ستمنحكم روسيا استقلالاً داخلياً، هل تريدون هذا الحكم أم حكم السويدي؟

وافق ممثلو فنلندا جميعاً على حكم روسيا (ادارة روسيا)، لذا أقسم الامبراطور الكسندر يميناً أنه سيفي بوعده.

كان الحكم الروسي أفضل حالاً من الطرفين، لأن فنلندا ذاتها دولة فقيرة، كما تناسب انكلترا قيادة الهند ومصر، ولكن لاتقدم فنلندا فائدة لروسيا، إن فنلندا تشبه القفقاس والقرم وتركستان وروسيا، لم تستفد روسيا من احتلال فنلندا اقتصادياً ولا مادياً، لكن من جهة أخرى، إن لروسيا فائدة وهي:

تبتعد عاصمة روسيا أربع ساعات عن فنلندا، إن استطاع أعداء الروس أن يصلوا أو يحتلوا الأراضي الفنلندية في يوم ما، فسيهددون أمن وسلامة روسيا، لذلك إن استيلاء روسيا على فنلندا كان ضرورياً من أجل حماية أمن العاصمة الروسية؛ من جهة أخرى فرحت فنلندا كثيراً باستقلالها وحقها المغتصب.

بعد انتصار روسيا، طلب الكثيرون من سكان السويد البقاء في فنلندا، لكن ليس كما كانوا يحكمون بالقوة. بل كمواطنين عاديين. دافع هذا الشعب من جديد في سبيل تقدم وتطور وطنه بجد واخلاص، لقد كان الذين يدافعون عن الوطن قلائل من قبل لأننا يمكن أن نعد المتعلمين والرهبان والاساتذة في فنلندا على أصابع اليد، لكن لم تتأثر القوة المعنوية للشعب الفنلندي بهذا الوضع، بل كانت تدفعهم وتتعاظم أكثر.

سَنَلمان (Senelman)

كان هناك رجل فنلندي يدعى سنلمان (Senelman) في عهد القيصر الروسي الكسندر الأول يتزعم جمعية الثقافة في فنلندا، لذلك سنتحدث عن تاريخ حياته ونضاله.

ولد يوهان فيلهلم سنلمان في 12 أيار 1806 في استوكهولم، وتوفي في 4 تموز 1881 في دانجاربي. كان سنلمان عالماً كبيراً وفيلسوفاً عظيماً وسياسياً مشهوراً، ناضل كثيراً في سبيل تطوير الثقافة القومية والاكاديمية الفنلندية التي قدمها للناس.

حاول سنلمان وأصدقاؤه أن يقدم أعمالاً لوطنه المؤلف من مئة جزيرة، وطن الزنابق البيضاء. تعهد ذلك الفنلندي الذي أراد أن يعمم هذه الحقيقة بين الفنلنديين طالما كان حياً يرزق: كانت فنلندا دائماً تحت سيطرة الاحتلال الروسي والسويدي، ولكي نقاوم الاعداء الكبار والاقوياء يجب علينا أن نرتفع بمستوى ثقافتنا أكثر منهم.

أصدر سنلمان جريدة بعنوان (Sayma)، كان يكتب لمواطنيه دائماً في صحيفته هذه الكلمات: عندما يتقدم شعبنا الصغير أكثر من الشعوب المجاورة الكبيرة والمتحضرة، عندها لن نقع في خطر ونحصل على استقلالنا .

عمل الفنلنديون سنوات طويلة من أجل التقدم والتطور الثقافي لأنفسهم، واليوم هم أكثر الشعوب الأوربية تقدماً وحضارة وأصبحت فنلندا من الدول الحضارية والمدنية أكثر من الدول المجاورة لها ولم تعد تخاف من أي شيء.

تحول سنلمان بين المتنوريين الفنلنديين الحديثين إلى نموذج مثال، ونصب له تمثال، أعلن هذا الرجل تغيراً عاماً مع بعض المحامين والاساتذة في سبيل نشر المعرفة مثل الصليبيين الذين توجهوا إلى القدس. كان يقول هو وأصدقاؤه:

المتنور ليس ثياباً أو غطاء يرتديه المرء، فالمتنورون هم عقل المجتمع، لم يمنح المجتمع لكم فرصة الدراسة كي تذهبوا إلى المقاهي والخمارات بعد الدراسة، وتلعبوا القمار (الميسر) على الطاولات والدمينو. إن المتنورين الذين يفعلون هذا هم المتنورون الفاسدون، المتعلمون هم مديونون لأنكشاف عقل الشعب، مديونون لاستيقاظ وجدان الوطن، مديونون لارادة قومية.

اوضحوا للقرويين والعمال والطبقة الصغيرة طرق الحياة كي يتمكن الشعب من فهم قوة الحياة والحفاظ عليه بشكل جيد. عرّفوا القرويين والعمال في وطننا على حياة أكثر بساطة وأكثر صحة، وأكثر معقولية. علموا الشعب كيفية العمل، واجعلوا أن يصنع بيوتاً مناسبة لأجل الحفاظ على صحتهم وصحة أولادهم، جهزوهم لوطن سعيد كي يعيش الرجال والنساء والأطفال مع بعضهم

بسعادة، وعلموا النساء كيفية تربية ورعاية الأطفال، علموا الشعب بأن أي عمل يجب أن يتم في وقته، ويتطلب النظام والانتظام في كل شيء، وليطيعوا حقوق الانسان، وكونوا نماذج صالحة في هذه الحقوق وكونوا مربين بينهم وبين الشعب. ليكن الوطن Suomi بيتكم، والشعب Suom عائلتكم، لتتذكروا دائماً أن العامل والكادح والأرامل هم مواطنوكم، هم أخوة وأولاد عمومتكم، إن تربيتهم وتطورهم وتقدمهم يقع على عاتقكم أنتم، لاتنسوا أن أمراض المجتمع من الجهل، وعدم المعرفة، والأمراض السارية والسكر، والفقر المنتشر بين الشعب عار عليكم وأنكم مسؤولون عنها.

كان المتنورون الفنلندون ستة أساتذة ومأمورين ودكاترة يقولون هكذا دائماً، ويكتبون وكان أكثرهم تأثيراً وأهمية وحضوراً هو سنلمان. كان سنلمان يتجول في البلاد ويرشد الناس، ويرتدي في الشتاء حذاءً وفي الصيف أحياناً حافياً. أينما وجد رجلاً في الجبال أو الوديان أو القرى، كان يتحدث معه طويلاً ويرشده، يوزع الكتب، ويأخذ العناوين، يرسل لهم الرسائل، ويستلم الرسائل. لم يدع سنلمان مكاناً مظلماً متخلفاً أو جاهلاً إلا وأدخل النور إليه، كان دائماً يقول: من أجل تنوير الوطن لاتكفي ثلاث أقنية – جداول، إن المناطق البعيدة تتطلب مياه الينابيع والبحيرات، هكذا يكون ظمأ معنويات الشعب، يجب أن تكون الينابيع الجديدة في كل الاماكن كيلا يعطش الشعب. أينما التقى سنلمان برجال يملكون العقل، يحاول ايقاظهم واحياء روح الحياة فيهم ومجادلتهم، كانت الرسائل التي ترسل، تنتقل من مكان إلى آخر بنفس الأسلوب، وتقرأ لأناس كثيرين، كان أصحاب الرسائل يقدرون ويحترمون مواقف سنلمان، فيعرض لهم مهام جديدة (أي يوجههم من خلال الرسائل) كان سنلمان يجمع أصدقاءه حوله في أي مكان يصل إليه، ويتخذهم أصدقاءً له ثم يرشدهم.

انظروا! كيف ينسج الحبل من نبات الجوتِ؟ أو نبات الحندق يحضرون أولاً قشوره الرفيعة ويصنعون منها حبلاً رفيعاً، ثم ينسجون عدة حبال رفيعة، ويصنعون منها حبلاً سميكاً، ثم يربطون عدة حبال سميكة بحيث يصبح حبلاً سميكاً جداً يستخدمونه في البواخر. إن نضالنا يشبه هذا العمل، يجب علينا نحن أيضاً أن نجمع المتنورين الموزعين، ونصنع لشعبنا الذي يقدر بملونين نسمة قوة جبارة.

جمع سنلمان في نهاية فصل الصيف الاساتذة الذين كانوا حوله في مكان ما، صنع لهم قرصاً (كوخاً من قش القمح) انضم إلى هذه البيوت أكثر من مئة استاذ، كان المنحازون في البداية قليلاً، وقد مل غالبية الاساتذة من أعمالهم في زوايا البلاد في الشتاء، ولم يكونوا مسرورين من أعمالهم. وانضموا إلى البيوت دون موافقتهم (مضطرين) يقول البعض منهم:

من أين جاء البيت، وأصبح مصيبتنا؟ من يتذكر هموم الاساتذة؟ هكذا كانوا يتشكون. كان سنلمان يعرف كل هذه الاشياء، ورغم ذلك لم يغضب، كان ينظر إلى الانسان كطبيب ويقول لهم: أصدقائي الرائعون، أعرف أن عملكم صعب جداً، وأعرف أيضاً أن هذا العمل الشاق لا أحد يقدره من الناس، وأفهم تماماً أن حياتكم المادية صعبة جداً، لكن ماذا نفعل؟ لاتنسوا أننا نقوم ببناء مجتمع، أننا نعي شعبنا، وها نحن الآن بدأنا بهذا العمل الكبير.

نحن طليعة الشعب، نحارب جهل المجتمع، علينا أن نتحمل أكثر منهم، ربما لايحترموننا، ولايقدرون عملنا للمرة الأولى، لكننا سنضحي، ونقدم الضحايا، وهذا ضروري لأي مجتمع، لايجوز أن ندير ظهرنا لهم ونبتعد عنهم، أدعوا إلى ذلك الاشخاص الذين إن أرادوا أن يضحوا بأنفسهم. لاتهتموا لأخطائنا، يقولون: كما يوجد في كل قضية، يوجد بين الاساتذة كثير من القضايا الغريبة، هؤلاء يرون قضيتهم بعين حقيرة، لأنهم يعرفون أنفسهم كعمال ميامين. أنصح هؤلاء بصدق وقلب صاف: اتركوا الاستاذة أيها الأخوة، ابحثوا لأنفسكم عن أمور أخرى، كونوا تجاراً، وموظفين في المكاتب، يجب أن يكون في أماكنهم أناس لايملكون الروح والوعي، أشخاص بلا ارادة، هذا بناءً على طلبي وأملي، لقد جهز علماء الوطن لكم بعض الاجتماعات، فانقسموا إلى مجموعات حسب معرفتهم وعلمهم، وعندما تعودون إلى مدارسكم علموا تلاميذكم العلم بمتعة لاتفوقها متعة.

كي يتمكن الاساتذة من تطوير معرفتهم، التجأوا إلى الدراسة أكثر وأقتفوا أثر معلمهم سنلمان، وخلال فترة زمنية قصيرة أصبح كل واحد منهم قوة ثقافية، وأصبح مئات سنلمانات في المجتمع. لم يعلق سنلمان أمالاً كبيرة على يقظة فنلندا بمعرفة الاساتذة فقط، بل كان يجد أيضاً في اجتماع للمأمورين والتجار والأطباء وبمجرد أن يسمع بهم، كان يذهب لحضوره فوراً دون تردد ويقول لهم:

لاتنسوا الشعب، أنتم من الشعب، ماذا تفعلون الآن؟ أتدرون أنكم تهربون من أخوتكم الجهلة؟ ماذا تفعلون في سبيل يقظة الشعب، وتطوير ثقافته ورقي مستواه التعلمي والمعيشي؟

المأمور المربي

انضمت فنلندا إلى روسيا في عام 1816، واشترطت روسيا أن تصنع لهم تشكيلة أساسية. وأن تمنحهم بعض الحقوق.

وعد بل تعاهد القيصر الكسندر الأول في بيان له: يجب ان نقدم أنا والذين سيأتون من بعدي لتلك البلاد حلاً.

جرى ذات مرة اجتماع عمومي مفتوح لبلاد (لشعب سومي) لمأمورين، وكان سنلمان موجوداً في ذلك الاجتماع تحدث فيه سنلمان منذ عهد السويديين حتى زمن الفنلنديين عن تاريخ المأمورين وفظائعهم.

كان السكان السويديون إناساً طيبين يملكون الشرف، ومع ذلك فرحت كثيراً بانقاذ بلدنا المغتصب الفقير، أرى أن انقاذ بلادنا من سيطرة المأمورين عمل جميل، كيف كان وضع مأموري السويديين في فنلندا؟ كانت مصيبة لفنلندا وللسويد. يوجد في السويد مأمورون جيدون، لكن الذين كانوا يرسلون إلى فنلندا لم يكونوا بمستوى المسؤولية لأن حكومة السويد كبقية الحكومات لم تفكر إلا بمصالحها تترك المأمورين الجيدين في بلادها، وترسل إلى فنلندا مأمورين سيئين كما هو موجود بين كافة الشعوب وبين العائلات الكبيرة وأغنياء السويد أيضاً كذلك يوجد بينهم رجال لايملكون الشرف وغير مرغوب بهم ذلك الشباب الذين طردوا من كل المدارس، وغير مرغوبين في الوظائف، وقد فشلوا في المجالات التجارية والمهنية، فهم لم يريدوا أن يتعلموا، وبنفس الوقت يهدرون ثروات أبائهم، وكان ابائهم يقولون لهم:

(لا أعرف ماذا أفعل بهذا الولد الطائش؟ بعد ذلك يعملون مع الحكومة ويصبحون مأمورين في فنلندا الآن تستطيعون أن تتأملوا الأمر جلياً: (إن هؤلاء الشباب الذين يأتون إلى وطننا، ما الفائدة منهم؟ هؤلاء الذين درسوا سنتين أو ثلاث سنوات في المدرسة فقط أو أنهم لم يدخلوا المدارس أبداً وفشلوا في اولى مراحل عمرهم المأمورون الكاذبون، لم يتقيدوا بالوظائف، ولم يتقيدوا بالدوام في الدوائر، إنما يلتجأون إلى الخمارات وأماكن اللهو والدعارة، هؤلاء هم الذين لم يرغبوا في العمل ولا حتى يعرفون سير العمل. لم يكن يفكرون بالعمل، طالما أنهم يهملون وظائفهم، كانوا يتبجحون أمام الناس، إنهم أنانيون، يصلون إلى الوظيفة متأخرين، ويتركون العمل باكراً. إن ذهب أحد إليهم لأجل مشكلة، كانوا يتركونه ساعات طويلة واقفاً، وقد كان حراس الأبواب (الفراشون) الذين يقفون أمام أبوابهم يقولون للناس بغضب: إن حضرة جناب (غريننداا) مشغول،

لايستطيع أن يستقبلك لديه مهمة، أما الذين كانوا يدخلون ويجتازون البواب، فكانوا يجدون أن المأمورين يغلبهم النعاس، ومازال قذى العين قد جف على عيونهم، أو يسيل على وجوههم، يراودك أنهم ديوك هندية، ورغم ذلك لم يستطع أن يقدم المشتكي شكواه فقد كان المأمور يقول:

- لدي عمل اليوم، تعال غداً.
- أتمنى أيها الافندي أن تجد لي حلاً، لأنني قادم من بعيد.
- ها، قلت لك (غداً) ألا تفهم؟
- أنا لا أملك نقوداً لذلك لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر.
- قلت لك غداً، هيا، أخرج.

ثم يخرج المأمور أفندي من الغرفة، ويذهب إلى ملذاته، إلى الشراب الذي يفوح منه رائحة النهر العفن، تتجمع النساء حول كل واحد، وقد كان المأمور يعرض عليهن مبالغ طائلة كي يتمادى في ملذاته، فمن أين يأتي المأمور بالنقود؟ كان يرتشي، والذين يسمعون هذه الحوادث كانوا يقولون فيما بينهم: ماهذا؟ كيف يرسلون هذا الفاسق من استوكهولم إلى هنا؟ هل يستمر الوضع هكذا؟ كان الناس يتألمون، ويتجولون، ويشتكون، ويغضبون ثم يقولون طالبين من الله تعالى: إن كان مأمور الحكومة يفعل هذا؟ ماذا سنفعل؟ واختتم سنلمان حديثه بهذه الكلمات: شكراً لله، إن وضع المأمورين ليس كما في السابق، وسينخرط موظفونا الفنلنديون تدريجياً إلى كل الأماكن والوظائف أما المأمور السويدي الجيد فنحن سنختاره.

قدّروا أهمية هذه المرحلة، أينما توظفتم، فمنذ اليوم الأول أبدأوا بالقوانين الجديدة واتركوا أساليب الادارة القديمة. لانريد أن يبقى من تلك المرحلة الفاسدة أي شيء وليفهم جميع الناس أن الموظف الآن هو خادم الشعب، عندما يتوقف عمل أحدكم، لاتنظروا إليهم كأنهم ذبابات تزعج الانسان، قدّموا لهم كل التسهيلات، واستقبلوا الناس بوجه بشوش وصدر رحب، صدقوني، عندما لاينهي الرجل عمله فلا يتهمكم أن الموظف لم ينهه، بل ليعرف أن عمله لم ينته حسب القانون والنظام.

افهموا أيها الموظفون إنكم لستم أقل تربية ومشاركة من الاساتذة، أنتم أيضاً تعرفون من هم الاساتذة الذين لايطبقون القانون، إنهم الموظفون ذاتهم، فلايتعلمون القانون لإطاعة السكان، في سبيل هذا الهدف، أتأمل منكم باسم الدولة الفنلندية: أنتم رجال القانون، علموا السكان تربية واطاعة القانون، اغرسوا روح العدالة في نفوس السكان.

لم يكن هذا الحديث، حديث سنلمان الأول ولا الأخير، بل تحدث كثيراً مثل هذه الكلمات من قبل ومن بعد.

انتشر هذا التفكير بين الموظفين، واستجاب السكان لهم في كل مكان، ظهر عدد قليل من الاجيال المتأخرة، وهم أصناف من الموظفين الفنلنديين الجدد، وارتفعت مكانة الموظف اخلاقياً، حتى أصبح نموذجاً مثالياً للعالم أجمع، يفتخر الناس الآن بالمأمورين ويمدحونهم في كل المناسبات.

الثكنة مدرسة الناس

كان يوجد قانون تشكيلي أساسي فنلندي في عـهد سـيطرة السـويديين وحسـب هـذا القـانون الوطني الذي يدعى syme كان للفنلنديين نقود ودراهم خاصة وكان لهم جيـش. وبعـد أن وقعـوا تحت الحكم الروسـي أيضـاً حـافظ الفنلنديـون علـى جيشـهم، لكـن كـان المـأمورون السـويديون يحكمون كل الجيوش في عهد السويديين، كان الشـعب الفنلنـدي سـنداً ودعمـاً في سـبيل احيـاء الثقافة السويدية.

وقعت فنلندا التي تدعى Suom تحت سيطرة الحكم الروسي، وقد باشروا بـالعمل في سـبيل احتلال تلك المناطق، وكي يصبحوا أصحاب وطن. بدأوا أولاً بالاعمال الصغيرة، وتدريجياً احتلوا أماكن اساتذة المدارس المتوسطة والعالية، وأختير تدريجياً أطباء وحكام وموظفـون مـن الفنلنديـين للمناصب.

تحول الجيش الفنلندي الصغير إلى جيش وطني، وكانت غالبيـة الأفـراد مـن الفنلنديـين في عهد السويديين، وكانت معاملة الضباط مع الأفراد كمعاملة الجيش السويدي في البلاد.

فالشعب السويدي شعب بطل، ارتفعت مكانة الجيش السويدي إلى مرتبة عاليـة في أوربـا في زمن ريفرميشن Refermation وغوستاف، وأدولف، وكذلك في زمن بطرس الأكبر، وملك الثـاني عشر، وقد كان قوة الجيش السويدي بيد الطبقة الارستقراطية. نشأ في البـلاد جيـل مـن الجنـود يدعى (Kast)، وكل من كان ينتمي إلى هذه الطبقة ينظر إليه بعـين التحقـير وبالمقـابل ينظـر إلى التجار والمتنورين بعين التقدير والاحترام، وقد كان الأفراد يعيشون في ظل نظام قاس.

لم يعرف الضباط في وظائفهم شيئاً آخر سوى التعليـم والاسـتيراد، وارتباطـهم بحيـاة الثكنـة وعلاقاتهم، وعندما كانوا ينصرفون من الوظيفة، يلتجأون إلى الشراب، ويلعبون الميسر، ويرقصون في الملاهي، وغالبيتهم جهلة لم يتعلموا في المدارس، وممن أنـهوا دراسـتهم، فقـد كـانوا يـتركون نـهائياً المطالعـة والقـراءة، لم يكـن لديـهم أفكـار وطنيـة ولا اجتماعيـة، فكـانوا يعرفـون كيـف يتبجحـون ويلفظـون الكلمـات السـيئة – البذيئـة. وعـلاوة علـى ذلـك كـانوا يصرفـون نقودهـم، ويتجولون مع On,formeyn . دائماً، يرقصون في الصالات بمهارة، ومنهم من أصابـه داء القمـار وشرب الخمر، يظلمون الأفراد كثيراً ويقولون لهم: (ثيران الثكنة) ويعاملونهم أنهم فعلاً ثيران.

اهتم سنلمان والشباب الفنلندي المتعلم بالجيش قدر الامكـان، سـيما كـانوا مرتبطـين بـالتعلم وتربية الأفراد، أما الشباب الذين قد انهوا الليسه والجامعة كانوا ينخرطون في المدرسة العسكرية

أيضاً ويصبحون من أفراد الجيش. فقد كانت الخدمة تطـول حتـى عشـر سـنوات ورغـم ذلـك لم يترك الشباب دراستهم الجامعية أثناء الخدمة العسكرية.

أصبح سنلمان مترجماً مشهوراً لذلك الشباب في الاجتماعات وأحياناً في كتاباتـه، كـان دائمـاً يطوّر أفكاراً نظرية، كيف يقضي أي شعب حضاري لم يصل بعـد إلى درجـة عاليـة حياتـه بـين الصلح والصمت. يقاد الحقد والغربة المتبقية من الماضي القديم كأمواج البحر إلى الأماكن المنخفضة وتتلاشى ويخلق في الانسان. يصنع الانسان حاجزاً كي يحـافظ علـى نفسـه، ومـهما كـان فـالدم يسيل كالسيل الجارف.

الجيش الذي يدافع عن وطنـه، ويتمـترس في الخنـادق هـو جيـش رائـع يسـتحق الاعجـاب وكذلك الجيش الذي يتجه إلى الحدود ويترك بعده المجتمع في سلام وحرية، كان سـنلمان يقـول لهذه الجيوش.

ـ الجيش كالرهبان، لسنا جنوداً، نحن نبعث روح الأمل في الاجساد التي لا أمل لها.

ـ أنشأنا الجيش لحماية الوطن ـ والذين لايعرفون جيداً، إن حبـات الرمـل الـتي تسـتقر في الاجساد ويحيي انساناً له روح ـ إن استيقظت، وكل حبة من الرمل تضحـي بنفسـها مـن أجـل حريتنا وسلامتنا.

عندما ألتقي بضابط في شارع أو في مطبعة، أو في محل أتمنـى أن أسـلم عليـه مـن كـل قـلبي وأقول له: أخي العزيز، حملتم هذا العبء من أجل حريتنا وسلامتنا، فليساعدكم الله).

فكروا مرة، إن كل واحد من جنود الثكنة قطعة من الماس، يجتمع هؤلاء الشـباب كـل سـنة مرة واحدة في مكان ما، ويدافعون. يحتل كثـير مـن هـذه القطـع الماسـية أو المـدورة (الدائـرة) أو المكسرة أماكنهم.

يقول هؤلاء الضباط تلامذة سنلمان: جيشنا جديد، وروحكم أيضاً جديـدة. ويجـب أن تكـون اساليب الخدمة العسكرية حديثة أيضاً، الفرد ليس ثوراً كي يترعرع في الثكنـة، الأفـراد اشـقاؤنا قد يكون أقل منا في الدراسة واصغر منا أيضاً. أرسلته (الأم ـ الوطـن) لأجـل التعليـم والتربيـة إلى الثكنة. وعندما يتحرر الفرد ستسأل (الأم ـ الوطن) من الضباط:

ـ من جهزتم وكيف؟ قدمت لكم آلافاً من الشباب الغر، كيـف ربيتـم؟ الضـابط ليـس شـقيق الفرد فحسب، بل أستاذه أيضاً، يتوجب عليه تربية الأفراد، حياة الفرد أمانـة في يـد الضبـاط، لذلك فهو مسؤول عنهم في كل المجالات، عن صحتهم وتفتح وعيهم، وعن تطور أفكـارهم، جـاء الفرد إلى الجيش ليخدم، يرتبطان ببعضهما بعلاقة عضوية قوية، يعلمهم الضباط نبـل الاخـلاق،

وآداب التعامل، وحب الوطن، لم يخف الضباط الفنلنديون الشباب من تلك الوظائف والمهام، كانوا يقولون:

ـ نستطيع أن نقدم الفائدة في كل الاوقات لوطننا، ليس في زمن الحرب فحسب بل في أوقات السلم نضحي في سبيل الوطن، نقدم الفائدة لوطننا في الثكنة أيضاً، كل نظرة إلى الفرد ترافقه فائدة عظيمة، لقد اشتهرت الثكنة حتى الآن بين الناس الفنلنديين أنها مدرسة للفسق، منذ القديم إن كان هناك شيء سيء كانوا يقولون عنه:

ـ هل أنتم تعيشون في الثكنة أيها الافنديون؟

ـ تفوح منه رائحة الثكنة.

ـ لقد دمرته الثكنة.

كان الضباط الفنلنديون الشباب يقولون عند سماع هذه الكلمات المعيبة: إن ثكنة هذا العصر جديدة، ويجب أن يكون لها أسلوب آخر، وسيكون. سنحول الثكنة إلى مدرسة للناس. حتى أننا سنحولها إلى جامعة، ليتذكر كل فرد الأيام التي قضاها في الثكنة، ويشكر حياته الأولى، ويتذكرها، سنحول الثكنة إلى كل شيء ليقول الناس:

ـ الحمدلله تم اصلاح حياة الثكنة.

ـ لقد استلم هو، الرتبة من الثكنة، كان شريفاً وذكياً ومناضلاً ونزيهاً في الجيش. هكذا عرف هدف العسكرية، فتش الضباط الفنلنديون الشباب عن الطرق والاساليب السهلة ليحققوا أحلامهم.

اعتباراً من اليوم لم ينظر ضابط إلى الأفراد كالسابق نظرة تحقير، فقد غيّروا أساليب معاملتهم.

كانت الثكنة مليئة بالاوساخ في زمن السويديين، لم يستطع أحد الجلوس فيها، كان هوائها قذراً، وثياب الأفراد وسخة وبالية، وتبقى غالبية الأفراد جائعة من قلة الطعام المقدم لهم، والمرض الذي تفشى بهم، لأن الضباط والرؤساء كانوا يأخذون حصتهم ويغتصبون حقوق الأفراد ولايهتمون بهم، لذلك تحولت الثكنة إلى مأوى الفساد.

تغير كل شيء الآن من اساسه، نظفت الثكنة بحيث أصبحت جدرانها بيضاء نظيفة، وجدد هواءها بعد فتح النوافذ، وزرعت الورود والأزهار في الزوايا، وعلقت الستائر على النوافذ ومن يريد أن يدخل إلى الثكنة عليه أن ينظف أقدامه من الأوحال أمام باب الثكنة، وكل فرد يريد أن

يتحمم في الثكنة بامكانه التحمم، حتى رافقت تنظيف أجساد الأفراد مع أخلاقهم. كانت الثكنة في عهد السويديين يضرب بها المثل لكثرة الأخطاء والسيئات:

ـ سكارى السويديين.

ـ إنه يكفر مثل أفراد السويديين.

كان جميع أفراد الثكنة في عهد السويديين سكارى، لم يتركوا سيئة إلا وفعلونها يهاجم الأفراد بعضهم، يتحدثون عن بعضهم بالسوء، يقذفون بعضهم بأقذع الكلمات، وعندما كانوا يتقاتلون مع بعضهم. يشتمون أبائهم واخواتهم دون حساب، فيشتمون الانس والجن والنهار والسماء.

وزع الضباط الفنلنديون الشباب الصابون على أفراد الثكنة، وقد كانوا يجبرون الأفراد أن يغسلوا أيديهم بالماء والصابون صباحاً ومساءً وبعد الطعام، ويقدمون لهم مناديل نظيفة ثم وزعوا للأفراد فرشاة أسنان، وعلموهم كيفية تنظيف الاسنان بالفرشاة، وكذلك تنظيف اللسان من الشتائم، لم يعد يشتم الضباط أبداً. فقد علموا الجنود حياة القسوة وعدم التسيب حتى انتظم الأفراد والتزموا بالانضباط دون شتائم.

كان الضباط والأفراد يتقنون فن الشتائم فيما مضى، وكانت الشتائم في الثكنة رجولة لقد غير الضباط الفنلنديون الشباب حياة الثكنة والأفراد بشكل أجمل قالوا:

ـ الثكنة، مأوى عائلتنا، ماهي المدرسة بالنسبة للاساتذة والوجهاء؟ كذلك تكون الثكنة لنا.

يجب أن نحافظ أكثر من النساء على تربيتنا ونزاهتنا، كان الضباط يبرهنون كل هذه الأفعال للجنود قولاً وفعلاً.

ـ لاتحولوا الثكنة إلى خمارة للسكارى، ومأوى للكفار (للكفر)، لاتبصقوا على الأرض، ولاتلوثوها بالأوساخ، ولاتفسدوا مناخ الثكنة بالشتائم، نظفوا لسانكم، ولاتزعجوا آذان رفاقكم بالكلمات البذيئة، فالشتائم أكثر بذاءة من عواء الكلاب، إن الشتائم تدل على الجهل إن أردتم أن تظهروا رجولتكم، أضيفوا عليها أعمالكم الشجاعة والنبيلة.

ـ اهتموا بالرياضة والسباحة، والالعاب والرمي، تحدثوا بين الناس، كلمات مهذبة وجميلة، لاتقرأوا الكتب التي لافائدة منها، ولاتنسوا كل ما قرأتم وكتبتم.

فيما عدا ذلك، وبعد استلام الهدية العسكرية، كيف تتم الواجبات العسكرية، وكيف تدافع عن الوطن، كان الضابط يعلمهم كل هذه الواجبات، ويقول لهم:

ـ إن المكان الذي جئتم منه، يدخل رجاله كالخلد تحت التراب، لم يجـدوا حيـاة انسـانية سعيدة، ليسوا متعلمين، ولم يسمعوا، أنتم كالخلد قادمون من هنـاك. إن ذهبتـم مثـل الخلـد الى جحورهم فهذا عار عليكم، سترجعون كمبشرين للحياة الجديدة إلى هناك، كيـف يتحمـل جسـم الانسان تلك الجحور المظلمة والضيقة، هيا ايقظوهم (أخبروهم)، أن يؤسسوا جيشاً جديداً هنـاك كي يصبح هذا الجيش، جيش الصلح والاعمار والمدنية.

يوجد في الجيش بعض الطوابير اشتهرت ببطولاتهم، أطلقوا على أنفسهم طابور الموت، وكـل واحد كان يطلق عليه هذا الاسم، ان نهضت تلك الطوابير فلايديـرون ظـهورهم للمـوت حتـى إن مات فرد منهم، إنهم أبطال.

الدافع في سبيل تطوير الوطن، والموت في سبيل الوطن، موت مقدس.

ـ كيف تحرثون الأرض؟ كيف تزرعون القمح وتحصدونه!

ـ كيف تستفيدون من حليب الحيوانات، ومن حطب الجبال؟

ـ كيف يقضي رجالكم أوقاتهم مع زوجاتهم؟

ـ كيف يربون والديهم وأولادهم؟

تعالوا الآن، سأروي لكم هذه الأشياء عنـد المجتمعـات المتطـورة، وكيـف تتـم، سـأحاول أن أفهمكم، لماذا يجب على كل واحد منا أن يقتني على أقمشة انكلـترا، وكريسـتال تشيكوسـلفاكيا ومعلبات (سمك) فيلمنغ، وأحصنة ايرلندا، وشـراب فرنسـا وزبـدة دنمـارك ودانتيـل بروكسـل، والمعاطف الروسية، وكبريت وكرتون السويد.

ـ لماذا تصنع هذه الأشياء عندهم بشكل متقن، حـاولوا أنتـم وأصنعـوا مثـل هـذه الأشـياء في بلادكم.

ـ من سيصنع تلك؟ مـن يسـتطيع أن يعـي أهلـه في القـرى؟ مـن يتجـرأ أن يصـل إلى مكـان المستنقعات.

كان الضباط المرشدين والمربـين يسـألون جنودهـم هـذه الأسـئلة، وكـان الضبـاط هـم أنفسـهم يجيبون على نفس الأسئلة.

ـ أنتم، ستصنعون أنفسكم قبل كـل شـيء، عندهـا لاتـرى عـائلاتكم أن وجودكـم في الثكنـة مضيعة وقت ودون فائدة. سيعملون أكـثر، والأشـياء الـتي أخذتموهـا منـهم، سـترجعونها إليـهم أكثر. جئتم إلى الثكنة أغرار، أما الآن سترجعون إلى قراكم كشعب جـاهز، كإنسـان نـاري. تلـك

فنلندا التي حرمت من الهبات الطبيعيـة، بينـها ضبـاط فنلنديـون شـباب أصبحـوا دواءً مفيـداً، يخرجون الناس الأذكياء والاقوياء من مصانعهم.

كان الجنود يحترمون أصدقاءهم الكبار ويظهرون لهم محبتهم، لم يردوهـم خـائبين في المـهام العسكرية، يفتشون رفاقهم المهملين، عندما يسرح الجنود من الجيش، يرسلون الرسائل لضباطهم يمدحون حياة الجيش بسعادة، وينظرون إلى الحياة نظـرة جديـدة، كـانوا يطلبـون مـن ضباطـهم التعليمات والخير والبركة من أجل تعليم القانون وقواعد بلادهم، وكان الضباط يرسلون لهم كتبـاً ومجلات وجرائد.

كانت تتأسس في البلاد أمور صحية وثقافية.

الثكنة ليست حاجزاً في وجه تقدم المجتمع، فقد كانت مكـان الارشـاد، حتـى أن القرويـين كانوا يقولون لأولادهم العنيدين: لتأت مرة فـترة خدمتـك العسـكرية عندهـا تسـتطيع الثكنـة أن تردك إلى صوابك.

نعم كانت الثكنة تتكفل بأصلاحه، وتؤدبه خير تأديب، شكراً لله، فالشباب الجـدد تعلمـوا أساليب الحياة تماماً.

بهذا الأسلوب ترتفع مكانة الثكنة فكرياً واخلاقياً، كما الخميرة ذات الفعالية العاليـة تنتفـخ العجين أيضاً.

كرة القدم

لم تتوقف الحرب في أوروبا بعد استيلاء نابليون على عرش فرنسا، لقد حارب نابليون مع أوروبا كلها، تغلب على الانكليز في البداية، وحاولت انكلترا إسقاط نابليون عن العرش، وبنفس الوقت كان نابليون يهدد روسيا.

تخلت روسيا عن الحرب بينها وبين السويد في عام 1808 خوفاً من حرب نابليون، وجرت معركة مشهورة وكبيرة بين فرنسا وروسيا، جمع نابليون قوة عسكرية مؤلفة من عشرين شعباً، وهجم على روسيا، احتل روسيا حتى موسكو، لكنه انهزم في النهاية شر هزيمة، وعاد إلى فرنسا دون ثأر. عمل لاجل سمعته المشهورة، ولكن هذه الحادثة جعلت انكلترا من اوروبا كلها أصدقاء لها وهجموا على نابليون، وقع نابليون في الأسر ونفي إلى سانت هيلين.

فرح الأوربيون الذين اشمأزوا من حروب نابليون كثيراً وخاصة نهايته، واندهشوا من قوة وانتصار انكلترا، وتأثروا بالانكليز حتى أصبح أي عمل انكليزي عادة وموضة لديهم.

أحياناً يأخذ الأطفال الصغار عادات سيئة من الكبار. كالتدخين، وتناول الخمر، والتحدث بصوت عال. اقتبس الشعب الذي كان متخلفاً دون علم ومعرفة من الانكليز بعض العادات السيئة.

صرف الرجال أولئك الذين يملكون أوقات وبنفس الوقت أغنياء، كالانكليز، الكثير من النقود لسباقات الخيول، يتناولون الويسكي والصودا كالانكليز، ويقلدونهم

في حلاقة الشعر وكذلك في طريقة التمشيط والتزيين.

أخذ الشبان عادة لعبة كرة القدم من الانكليز، اولئك الشبان الذين لم ينهوا دراستهم بعد، فتعلقوا بلعبة كرة القدم حتى عبدوها، واعتبروها علماً ومهنة، أما الكتاب فارغو الرأس الذين يستطيعون أن يلفتوا أنظار الناس من الشوارع إلى الحماس الرياضي، في صحفهم من خلال مقالاتهم، عن كرة القدم، وافتتحوا زواية خاصة لرياضة كرة القدم، ومدحوا فيها عن أصحاب السيقان السمينة كسيقان الجواميس.

لقد أنتشر هذا الهوس بالكرة في زمن سنلمان في فنلندا أيضاً، لم تكن الأفكار الجيدة منتشرة بين الشبان في فنلندا عندها، ولم يعرفوا التفكير الصحيح، وبعد أن وقعت فنلندا تحت الحكم الروسي، انتشر بين الشباب الفنلندي احساس الثأر للسويد. اتجه الشباب الفنلنديون الذين لايملكون تفكيراً إلى كرة القدم، وانتقلت عدوى كرة القدم كمرض بين شبان المدن، حتى أنها

انتقلت إلى القرى الكبيرة أيضاً، انتشرت الجمعيات والنوادي الرياضية بكثرة كالدمامل في جسم المريض، كحشرات المستنقعات، يمجدون السيقان السمينة ـ كسيقان الجواميس.

لم يحب سنلمان وأصدقاؤه أن تحتل السيقان السمينة مكان الرؤوس الكبيرة، لم يرغبوا أن تنتقل قوة الرأس إلى الاقدام ويبقى الرأس فارغاً. كانوا يريدون دائماً تطور ورقي الفنلنديين ويقولون: ماذا تصنع السيقان والزنود الرفيعة؟ ماذا يستطيعون أن يقدموا للوطن؟

كان سنلمان يذكرهم، في زمن ما في اسبانيا تولع البعض بقراءة الروايات، وقد ظهرت هذه السخرية في كتاب دون كيشوت، كان سنلمان واصدقاؤه يقولون: اولئك الثرثارون الذين يقرأون الروايات الرخيصة، يجب ألا ننساهم، ونحاربهم ونحارب أمراضهم.

كان سرفانتس مؤلف كتاب دونكيشوت يقول لقرّائه:

(إن قراءة الروايات السطحية، دلالة على التفكير الضحل).

لم يكن الاسبان في ذلك الوقت يدركون التقدم والتطور العلمي والمعرفي والاقتصادي في بلادهم ولم يكن يبحث عن حلول أو يسأل عنها. لأنهم لم يوافقوا أن يعملوا في هذه الطريق بالعلم والارادة. كان هناك رجال يقرأون أياماً بل سنوات روايات سطحية ورخيصة، واعتقدوا أنهم يفعلون شيئاً بقراءة الروايات. في البلدان التي لاتوجد فيها الثقافة، يتبدل عقل الناس وينتشر فيها الجهل والأخطاء. ومع ذلك يزداد الفقر والبؤس. وتضعف قوة الدولة، ويؤدي بالاخلاق والفكر والاقتصاد إلى الافلاس. والذين يفهمون أيضاً اتجهوا إلى قراءة الروايات الرخيصة، كالسكارى. يقول سنلمان: (لاتعرف بلادنا أهمية الكتّاب، ويجب أن يكون بيننا رجل مثل سرفانتس، ويجب أن يغني الجانب الأضعف من جوانب حياتنا بقلمه وفكره، فليخرج رجل مثل سويفت ويبحث في روح الانسان الضعيفة، ويبحث في العقل البكر – العقيم.

يحزن سنلمان وأصدقاؤه ويقولون: لايوجد بيننا داهية مثل سرفانتس. ولا نستطيع أن نصنع كاتباً مثل سويفت، لكن نحاول قدر الامكان وبقدر فهمنا وعقولنا وقوتنا نستوعب تلك الأشياء في بلادنا ونصنعها. لماذا لايمكن للمرء أن يرى جراثيم وباء الكوليرا بالعين المجردة؟ رغم صغر الجراثيم، فإنها تدمر بلداً (وطناً) وهناك جراثيم معنوية إذا داهمت شعوب ومجتمعات فإنها أخطر من جراثيم وباء الكوليرا.

جرت محاربة الأمراض التي كانت متفشية في المجتمع الفنلندي في زمن سنلمان، لأن فنلندا بلد كثير المستنقعات، لذلك كانت مأوى الأمراض والحمى، وكان الناس يموتون بها ولم يتحملوا تلك الأمراض، لذا كان سنلمان يقول: هذا ليس جميلاً، ماعدا هذه الامراض، يوجد بيننا أمراض

العقول وأمراض الارادة وأمراض الروح. لقد تفشت الأمراض الروحية بين غالبية الشبان، وبعد خمس عشرة سنة أعتقد أنه لايوجد شيء اسمه الجيل الجديد (الشبان).

جرى احتفال كبير بكرة القدم في يوم ما، وقد أقام ناد كبير احتفالاً بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس النادي الرياضي الكبير، وجرت مسابقة وطنية كبيرة لهذا المهرجان، قرأت فيها الخطابات. وكان كل من حضر المهرجان له علاقة بالرياضة، حضر سنلمان مع أصدقاؤه أيضاً وقد كان رئيساً فخرياً لناد رياضي، ألقى سنلمان أيضاً (كلمة): (أفرح كثيراً عندما أجد أن الشباب الفنلنديين يمارسون ويهتمون بالرياضة. إن كان تدريب الجسم بشكل معقول فهذا رائع جداً.

إن اليونانيون القدماء الذين طوروا الفلسفة كثيراً، لم يطورها بطريقة الصدفة، وقد أوصلوا الألعاب البهلوانية إلى درجة عالية. إن تعليم (تدريب) الجسد يجعل الجسم قوياً وخفيف الحركة، وتقيم قامة المرء أكثر ويجعلها رشيقاً. إن أهل المدن الذين يقضون حياتهم في المياه الوسخة فيدمرون أجسامهم؛ ويعرضون قوة عضلاتهم للتدمير، ويسبب لهم ضعف الدم، ويتحولون إلى فقراء وضعفاء، حتى أن أطفالهم الذين يدرسون في المدارس يستبدلون الطريقة الحديثة بأسلوب القراءة القديم. وامتلأت رؤوسهم بآلاف الهراءات والقوانين غير المفيدة والتي مضى عليها الزمن.

يضع كثير من التلاميذ في المانيا النظارات على عيونهم، لأن عيونهم ليست جيدة. الرجال ذوو الحدبة، والرقاب المائلة، وأصحاب الزنود والسيقان الرفيعة، والذين لم ير وجوههم نور الشمس كالعشب اليابس، ذابلي الوجوه، ينتشر هذا في المدن أكثر مما هي في القرى يريد المرء أن يخرجهم إلى القرى، أن يغير الهواء ويتجول بين الاعشاب لينتعشوا بالهواء النظيف. كان اليونانيون القدماء يفعلون هذا، وضع هذا القانون سقراط، فيدياس وبربكليس والذين كانوا في تلك الفترة قانون مبدأ الحياة.

لايلزم التفرد في أي شيء، يجب على المرء ألا ينظر بعين أحادية ومن جهة واحدة، يجب أن يعتدل المرء في كل شيء. ويجب أن يصنع (يتمم) أي شيء في زمانه ومكانه. يسخر سويفت صاحب كتاب (جليفر) من أولئك الاشخاص الصغار كالضفادع الذين يتبجحون ويتباهون بالعظمة. يسخر سويفت أيضاً من الرجل السمين وذو الرأس الكبير، والرقبة الرفيعة، والأشخاص غير الطبيعيين، يقول: إن حياتهم تشبه أجسادهم القذرة.

ـ لا نوافق ولا نرضى أنــا وأصدقـائي أن تصبـح فنلنـدا كبـلاد اليـأجوج والمـأجوج، لا نريـد أشخاصاً غير طبيعيين، ولانريد أن تحتوي فنلندا ذوي الرؤوس الفارغة، والأقدام السمينة سـيقان الجاموس، إن هؤلاء الاشخاص الذين يشبهون أقدامهم، سيقان الجواميس ورؤوس الاغنام لايمكن أن يصبحوا أصدقاء المفكرين، أنتم تفرحون كثيراً بتطوير كرة القدم في فنلندا وتجدونه مناسباً. إن فريق كرة القدم بعنوان (الأقدام القوية) تبـاري فريـق السـويد والـنرويج والدنمـارك، حتـى أنـهم سافروا إلى المجر أيضاً وتغلبوا عليهم، لذلك تسرون لهذا الانتصار أما أنا فلا.

أتمنى أن تؤسس في وطننا الحبيب جمعيات فكرية وثقافيـة مثـل (الأفكـار القوميـة) الأعمـال (الجيدة الرفيعة) النضال (الجواميس ذوات الحليب) و(البيوض الكبيرة) و(فرق قويـة) و(الايمـان القوي) و(الوجدان الطاهر) و(الأفكار الجديدة)... الخ.

ـ أريد منكم أنتم أيها الشبان الفنلنديون أن تتغلبوا على المجر وفرنسا وانكلترا، ليـس بكـرة القدم والسيقان السمينة والقوية فحسب بل بالعلم والصناعة والتجارة والفكر.

ـ إن اعتمدتم في مسابقاتكم فقط على هاتين القوتين (السيقان والزنود) فلن تتقدموا، مايلزمكم هو العقول النيرة، فلا يوجد أقـوى مـن رأس الكبـش ولا أكـثر عنـاداً منـه، فـلا أريـد أن تكـون رؤوسكم مثل رأس الكبـش، ابحثـوا عـن رأس سـقراط وبريكليـس المشـهورين، ضعوهمـا بجـانب بعضهما، ستجدون أن رأس سقراط هو رأس فيلسوف، جبهته عالية، مكان المخ، قـد يتبـادر إلى ذهن أحدكم أن الفكر سيخرج من رأسه ويستقر على جبهة سقراط. ثـم لاحظـوا هيكـل بريكيـس أيضاً، ستندهشون من قوة جسمه وعقله البهلواني ومن قـوة الاسـطورة اليونانيـة. قامتـه منتصـب كعمود، وكتفاه الصغيرتين وجبهته العريضة، إن كل هذا يدل على قوة جسمه، لكنه بطـل قليـل العقل، ليس بطلاً للفكر.

ـ أنا لا أقول لكم اختاروا رأس سقراط أو رأس بريكليس، لا. أقول لكـم إن أردتم أن تكونـوا أصحاب أقدام قوية، لاتنسوا رأس سقراط أيضاً، لكن ليس أصحاب الـرؤوس العنيـدة كـالحجر، لاتنسوا هذا أبداً.

ضروري أن يتم كل شيء، في زمانه، عندما يحين زمن الفرح، أفرحوا، لايلزم وطننا الحبيب لعبة كرة القدم فحسب، بل لعبة الاجتماع، والاقتصاد، والفكر والمجتمع، تخلـوا عـن العـادات السيئة في مجتمع الثقافة والمعرفة، إن الذين يسافرون إلى فرنسا، لايعلمون مقهى شانتان، والذين يسافرون إلى المانيا أنصحكم ألا تذهبوا إلى الخمارات، أما الذيـن يسـافرون إلى انكلـترا فيتذكـرون

لعبة القدم فقط، ولايتعلمون. أسسوا كشباب الالمان مئات الجمعيات (وحدة الفصائل) قد يكون هذا أكثر صحة فالعقل السليم في الجسم السليم.

أيها الشباب الفنلنديون، ليست مهمتكم تطوير كرة القدم وطيرانها، بل تكمن مهمتكم في رقي شرف الأمة الفنلندية إلى السماء، حاولوا وناضلوا من أجل التقدم وسمو وطننا الحبيب.

الأم. الأب. الأولاد

إن تعليم التربية عمل جميل للشباب الجدد والجيل الجديد، لأجل يقظة الفنلنديين، لقد كان سنلمان واصدقاءه مرتبطين بالشباب ويعلقون الأمال عليهم وكانت النقطة الحساسة تدغدغ قلبهم احياناً، فالرجال يقدرون الشباب، لكن عندما كان الرجال يتعرضون لتربية الشباب بالسوء، كان سنلمان يدافع عن الشباب ويقول: إن الخطأ ليس خطأ الشباب، بل الخطأ منكم وفيكم، يفعل الشاب مثلما يتلقى التربية، ماذا تعلمون الشباب من التربية؟ لا شيء.

تهتم الأم بغسل الثياب، وجلي الصحون، وتكنيس الغرف، وإعداد الطعام، ويهتم الأب أيضاً بالتوظيف والتجارة والصناعة والعمل.

يقضي الأب أوقاته حتى ساعات متأخرة من الليل في المقاهي، لكنه لايهتم أبداً بأولاده، يتبجح أنه لايملك وقتاً، الاهتمام بالاطفال يجعل المرء يمل كثيراً. لايتحدث مع أولاده، ولايرتبط بحياتهم، يلعب مع أولاده ويفرح بهم في أوقات فراغه ثم يقول لهم:

تواروا عن الأنظار، هيا انصرفوا، العبوا لكن دعوني بحالي، افعلوا ماتريدون، لكن لاتزعجوني.

هكذا يبقى عقل الطفل بكراً وكذلك جسمه كأرض غير محروثة وغير مروية، لايمكن أن يزرع المرء فيها شيئاً.

أحياناً يتحدث المرء لهم عن أشياء جميلة، وحقائق، وحب، تجدهم كالحجر اليابس، يبدو أن هذه الكلمات غريبة عليهم.

لايرتبط الأب والأم بحياة أولادهم، وإن ارتبطوا بهم لايعرفون ولايستطيعون. لا فائدة من كلماتهم التي لا معنى لها، ولاتؤثر في نفوس أولادهم.

إن تحدث الرجل بصراحة، وإن وجد في البيت الأم والأب والخال والخالة فيبقى الأولاد دائماً هكذا يتامى، ويعيشون يتامى ويكبرون يتامى.

ربما يوجد في بعض البيوت، يعتقد أنه يربي الأولاد تربية حسنة، ويرتدي ثياباً جميلة ويراقبون تربية أجسامهم أيضاً، لكن تهمل التربية الروحية عندهم، عندما لايضحك الأطفال يجب على المرء ألا يستغرب، إن انخراط هؤلاء الأطفال بهذا الشكل إلى الحياة العملية فماذا يتوجب عليهم أن يفعلوا؟

ـ أنتم أباء وأمهات الأولاد! تحدثوا مرة واحدة بمسؤولية: إن هذه المعيشة والبيئة التي أنتم تعيشون فيها، لاتصلح لتربية وتنمية الأولاد، هل تصلح أم لا؟

تحدثوا مع أولادكم وانصحوهم:

ـ لاتكذبوا، لاتنصبوا، إن هذا الفعل ليس جميلاً، إنه ذنب، يقولون... لكنه يخدع نفسه وأولاده بهذه الكلمات. وكذلك يقولون للأولاد لاتزعجوا احداً. لكن لايهتمون بهذه الأشياء، يدفعون الأولاد بسرعة إلى المراوغة. يستغربون أولاً، إن تلك الأشياء التي يتحدث بها والدوهم للأولاد: لاتفعلوا، وهو يفعله، لايقتنع الأولاد به.

ثم تزرع فيهم هذه القناعة فيما بعد:

يقول الأب والأم بشكل، ويتصرفان بشكل آخر. لذلك لايعتمدون على حديث والديهم ولايقتنعون بهما، ولايستمعون إليهما: (أفعلوا هذا، أو لاتفعلوا هذا). يتذمر الأب والأم من جهة أخرى بأن أولادهما عنيدون منذ الصغر، ولايستمعون إلى كلام والديهم. لايعرفان هما أنفسهما، أنهما يسببان هذه الأشياء، لاتقتنعوا أن الطفل سيصلح من تصرفاته بالضرب والزجر والتحقير، لا. تتصرفوا أمام أولادكم تصرفات غير مهذبة، كي يلاحظوا هم أنفسهم ميزاتكم ويحبوكم.

لاينتبه بعض الأباء والامهات إلى أناقتهم، ونظافة أيديهم وأرجلهم، ولاينتبهون أيضاً في حديثهم إلى النزاهة والشرف. ومنهم من يقول أيضاً لأولادهم: هل ترون ماهي تصرفات والدكم، لاحظوا على تصرفات والدتكم؟ يقضي الأولاد 15 أو 20 سنة من أعمارهم في هذه المستنقعات ثم يقول الرجال: لماذا يبقى أولادنا بلا أجنحة ولايحلقون نحو السماء؟

وأنا بدوري أسأل تلك الأمهات والأباء:

ـ عندما أردتما أن تربيا أولادكما ليتبوأ مراكز عالية قدمتما لهم أجنحة النسور أو أنكم قطعتم أجنحتهم؟ عندما يكبر الأولاد، يحلم الأب والأم ويبني أحلاماً خيالية حول مستقبلهم، يريدون أن يصبح ابنهم مهندساً، مأموراً، تاجراً طبيباً، محامياً، أو يمتهن مهنة جيدة. ويبحثون لبناتهم عن رجل (زوج) غني، ينادون بفكرة الرفاهية والسعادة لأجل أولادهم فقط، وهكذا يقولون لقد انتهت واجبات الأب والأم، لذلك قال ليف تولستوي هذه الكلمات الجميلة – الرائعة:

ـ من اسس الحياة هذه هي واحدة: يريد كل واحد في حياته أن يصل إلى الرفاهية لوحده فقط. لكن رفاهية الحياة وفائدة العمل بوسيلة عمله، لايتذكر اسس الحياة.

يريد كل واحد أن يأخذ حصة من الحياة، وبنفس الوقت لايريد أن يقدم لها شيئاً، يدخل كثيرين من الرجال إلى الحياة الاجتماعية برغبتهم، غصباً تطفلاً، يظهر حكمة الحياة من خلال الطفيلية، ويبقى حكمة الحياة سنوات هكذا في البيوت مع الأطفال، من هو المسبب؟ (ماهو السبب) الأب والأم.

هؤلاء الأولاد الذين يلقنون هكذا، عندما يكبرون يصبحون جهلة، جائعين، تنابل، عبيداً لشهواتهم، وأخيراً لايعرف أولئك الشباب الحب ولا الارتباط، ويبقون (دون ضوابط، فوضويين)، لايمكن أن يزرع فيهم روح حب الوطن والشعب والعائلة وكرامة النضال ولا حتى الافكار الانسانية، ولايعرفون كيف يحبون والديهم حباً صادقاً، ما تبذرونه ستحصدونه. وما تطبخونه ستأكلونه.

إن تركتم روح الشباب كأرض غير مزروعة، ستنبت فيها أشواك ودغل.

الأباء والامهات الذين يتركون أولادهما دون زراعة (تربية)، هذه ليست مسؤوليتهما. استطيع أن أقول إن اهمال كهذا هو عمل لا أخلاقي. التربية ليست فقط بيد الاباء والامهات، بل يجب أن تكون مرتبطة بالمجتمع والدولة أيضاً. حتى إن كنتم تستطيعون أن تؤسسوا قانوناً أساسياً، وإن كنتم تريدون أن تتركوا حرية الاختيار للناس، وحتى ان اقتنعتم بمبدأ الشيوعية والاشتراكية، وإن كان أولادكم لايريدون أن يتربوا، ويدخلون إلى الحياة بلاشيء، حياة المجتمع وحياة البرلمان سيبقى في ظلام دامس.

إن المأمور الذي يكون من هذا الجيل – البذرة، المهمل، سيكون وزراؤهم أيضاً بهلوان يركض وراء مصالحه الشخصية فقط.

* نشر هذا الكتاب في مجلة روژانو على ثمانية عشر حلقة تحت عنوان (في بلاد الزنابق البيضاء) أو بلاد المستنقعات ولم ينشر الباقي من الكتاب كما هو مذيل بكلمة يتبع.

*

صداق الحب

قصة رمزية خيالية. ذكرها لي الشاعر الكردي المشهور قـدري جـان. قصـها علـيّ ثـم صغتـها صياغةً وحواراً وأشخاصاً... والأدب الكردي مفعم بمثل هذه القصص الرمزية...

وقصة (صَدّاق الحب) هي إحدى هذه القصص التي تصف حب الأم لولدها وتفانيها من أجل رفاهيته. وإن دلت هذه القصة على شيء فإنما تدل على استمرارية الوجود بفضل حب الأم الذي لايدانيه حب...

نشرت هذه القصة أول ما نشرت في جريدة السياسـة الأسـبوعية المصريـة لصاحبـها الدكتـور محمد حسين هيكل عام 1933. ونقلتها مجلة الانسانية الدمشقية لصاحبـها وجيـه بيضـون، ثـم نقلتها مجلة (سير) المهجرية نيويورك لصاحبها الشاعر المهجري الكبير إيليا أبو ماضي...

والأدب الكردي إلى جانب احتوائـه أمثـال هـذه القصـص الرمزيـة، غـني بـالملاحم الأدبيـة. وأشهرها ملحمة (مەم وزين) للشاعر الكردي العظيم أحمد خاني من سكان جزيرة بوتـان... وقـد نقل إلى العربية قسماً من ملحمة (مەم وزين) الاستاذ المرشد الإسلامي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فجاءت تحفةً رائعة من روائع الأدب المترجم إلى العربية...

أما الشاعر قدري جان الذي نقل لي هذه القصة فهو من أشهر شعراء الكـورد المحدثـين أمثـال جگرخوين وشيركو بيكەس وغيرهم.

ويمتاز الأدب الكردي في جملته بالخيال والعذوبة والتعاطف مع الفكر الانساني الحـر المتطلـع أبداً نحو الحرية والعدالة والمساواة... ومجابهـة الظلـم والاسـتبداد والاحتـلال بشـجاعة وتصميـم وفداء.

الاستاذ الدكتور خالد قوطرش

---

* نقلاً عن كتاب – مختارات قصصية من الآداب العالمية – من الأدب الكردي، ترجمة الدكتـور خـالد قوطـرش. الطبعة الأولى ـ 1995، دار الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق. ص121–128.

صداق الحب

هاهي تتراءى يا إلهي! فحقق رغبتي وارو غلتي فأنت تعلم ولايعلم غيرك ما أكابده من حر الجوى ومر العذاب وثورة الجفاء. فلوّح إلى قلبها الحب وألهم فؤادها الحنان لتهتم بأمري وتتقدم إلي لتعاطيني الكلمات والنظرات كما أعاطيها وأبادلها هذه منذ أربعة أشهر.

مرت كلناز هذه المرة أيضاً مسرعة دون أن تلتفت إلى زنار أو تكترث به. فاردف قائلاً: (آه! يا لحظي الانكد! يا لشقائي! يا لوحدتي! إنها تمر هذه المرة أيضاً حيث لاتلتفت إلي ولاتكترث بي. لقد خانتني مخيلتي وغدر بي قلبي. أنا لا أحمل تبعة هذا الاخفاق إلا عليك يا إلهي يا خالق كل شيء ومبدع كل شيء إنك لاه عني وعنها. غير مهتم بي وبها سواء أعشنا أو هلكنا. إنك يا إلهي في شغل عنا لاتحسب لنا حساباً. عفواً يا إلهي إن ملت عن الطريق أو ضللت سواء السبيل فقد ضاع رشدي غاب فكري. آه! أنا الذي أقف كل يوم على هذا الجسر كئيباً حزيناً مترقباً مجيء حبيبتي كلناز لابادرها بالابتسامة وافاجئها بوحي مهجتي محاولاً جهد طاقتي أن أفتح قلبها للحب. أواه! إنني لم أظفر إلى الآن. إن قلبها أشد قسوة من جلمود الصخر أفلا يجب علي أن الينه؟

رحماك يا حبيبتي، حناناً من لدنك وعطفاً من جنابك. رفقاً بشباب قد ضرسه الجوى وأضناه وحرقه الهوى وأفناه. لقد حن هذا الجسر الجامد علي وبكى لبكائي فلا أريد التي تيمتني بحبها قلباً أصلب من هذا العوارض الحديدية وأقسى من هذه السدود الحجرية. فهذه بقايا ظلام الليل الراحل وأوائل نور النهار المقبل شهود على ذلك.

استودعك الله. وحاولت الذهاب فاستوقفها زنار قائلاً: بربك لاتذهبي فعدلت عن الذهاب ووقفت إلى جانبه. ولكن زنار فكر أيضاً واطال التفكير وتأمل وافرط في التأمل وأخيراً قال: (أمر جليل خطير، وخطر فادح كبير).

ثم أصفر وجهه اصفراراً قانياً وارتجفت شفتاه كارتجاف شفتي الفقير في فصل الشتاء واهتزاز المحموم ونطقتا بصوت متقطع وبكلمات مبعثرة:

(ليكن ما تريـ... (تأوه)... ـدين وغداً في هذا الموقف وفي هذه الساعة سأ... قد... م لك... (بكاء)... ماتبغيـ...ـن).

ـ حسن جداً يافتى. إلى الغد إلى اللقاء ياحبيبي. قالت هذا ومضت لحاجتها.

عاد زنار إلى داره وهو غارق في لجة التأملات والخيالات... مستسلم لهواجسه النفسية وانفعالاته الداخلية، فساورته المخاوف والظنون لتصادم قوتين عظيمتين في داخله: قوة الحب

الأموي، وقوة الحب العاطفي، وبأيهما يضحي. فحاول جهد طاقته أن يصل إلى نتيجة حاسمة فلم يفلح، وفي أثناء جلوسه في غرفته وهو على هذه الحال من الاضطراب النفساني دخلت عليه أمه مبتسمة... وكانت مشدوهة لحاله، وسألته في رقة وحنو عن حاله واضطرابه وراحت تهديء من روعه وانفعاله. وأخيراً خرجت فبكى زنار أثر خروجها بكاء شديداً خافتاً.

***

ارخى الليل سدوله فجلل العالم بردائه الأسود القاتم، فحل المكر محل الصفاء والضغينة مكان الولاء. أسود المرج الأخضر والسهل الأصفر والجبل الأسمر وتكاثرت الظلمة في الوادي حتى تلاشى مشهده عن الوجود لولا خرير ماء النهر المنساب في قعره على الصخور والاحجار انسياباً وحشياً وأضحى الجبلان اللذان يفصلهما الوادي طوداً شامخاً فكم كانا يتمنيان دوام الليل ليدوم اندماجهما واتحادهما.

تقدم الليل بخطوات واسعة ولم يزل زنار منزوياً في الغرفة ملازماً مكانه تتلاطم أمواج الخواطر في فكره وهو يحترق بين نار الحب ونار الوجدان. وأخيراً نهض:

آه أخاطب من؟ ـ لا أحد ـ أين هي؟ ـ لقد مضت منذ حين وذهبت منذ ساعة. إذاً لابد أني أصبت بمس من الجنون).

***

وقف زنار في اليوم التالي على الجسر حسب عادته منتظراً مرور كلناز ليسمعها انينه وشكواه ويعلمها بحبه وهواه. فلما تراءت له عن بعد أحمر وجهه وتهيج وارتجف ثم همس في نفسه: (ها هي تقترب مني يا إلهي تمشي مشية الطاووس مرحاً وخيلاء، متعجرفة بقوامها الأهيف. تسير فتتثنى بسيرها كما يتثنى العود الرطب أو غصن الخيزران. لقد اقتربت كثيراً وأصبح وقع قدميها الصغيرين الرقيقين جلياً واضحاً. فياليت هذا الوقع كان على قلبي الخفاق).

شاء الحظ أن تقف اليوم كلناز ترد له ابتسامته وتسأله عن حاله فبهت زنار لوصوله إلى النتيجة التي قضت على جسمه بالنحول وعقله بالذهول. ثم قالت: (مابك يافتى واقفاً كل يوم في هذا المكان تراقبني وتخاطبني؟ ماهي طبيعتك؟ فإن كنت محباً فاقلع عن هذه الفكرة لأن حبي فظيع خطير أو كنت ذا مأرب آخر فاشرحه لي فلربما حققته لك.) اطرق زنار هنيهة ثم رفع رأسه وسرح طرفه وخياله بجمالها فشعر بالفتيق المنتشر من ثغرها وبالاثير الشفاف المنتشر من ناظريها، رآها فتاة ترد الغزالة طرفها خجلة من هيبة جمالها فوقف أمام هذا الجمال الملائكي مأخوذاً مرتجفاً وقد أثر الموقف فيه أثراً عميقاً فكم كان يشتهي أن يستسلم لتلك العاصفة الداخلية النفسية التي كانت تدفعه للارتماء على جسمها الغض ليشبع نهديها ضماً وتأوهاً

وشفتيها حرقة وقبلاً: إلا أنه هدأ عاطفته ثم قال: يا من استولت على مشاعري وشغلت كل تفكيري منذ أول مرة رأيتها، إن قلبي يتفتت من ضغط بارود الهوى ويقطر دماً من قوة نار الجوى، أفلا تشعرين يا حبيبتي بهذا الحب القاتل في كل عضو من أعضائي، والماكث في كل حجيرة من حجيرات جسمي؟ ألا تشعرين بهذه الزلزلة العنيفة وهذه الرعشة الشديدة، وهذه الهزة القاسية التي تنهك قواي؟ ألا تشعرين بكل هذا ألا تشعرين؟ ألا تسمعين هذه الدقات دقات قلبي المتماوجة المتدفقة؟ انظري مئزري الموضوع على صدري كيف يعلو ويهبط من أثر تلك الدقات وشدة النبضات. إنك تفهمين إذا تأملتني قليلاً ماذا أريد منك وما يدفعني كل يوم للوقوف هنا... وتنهد زنار قليلاً ثم تابع كلامه: إني لم أفهم يا معبودتي معنى قولك: إن حبي فظيع خطير.).

فأجابته كلناز قائلة: أني أفكر يا فتى في كل شيء خلا الحب واحلم بكل شيء ما عداه. إني زاهدة به كزهد الغني البخيل بالخيرات والاحسان. لقد مرت علي حوادث اعطتني درساً بليغاً في نكران الحب والوفاء، ولكني مع هذا لم أشاهد فيما شاهدته سابقاً فتى مثلك دقيق المشاعر رقيق الاحساس، حاد الذهن، يقظ القلب فطن الفؤاء، واسع المخيلة، وتلك صفات ملازمة للانسان ذي الحب العميق والاخلاص المعمر. فسأحاول أن افتح قلبي ليخاطب قلبك وادعو فؤادي ليناجي فؤادك. وصمتت كلناز برهة ثم تابعت حديثها قائلة: لي شرط واحد يافتى أريد أن اتحققه فيك قبل أن يربط حبل الحب قلبينا. وإني أشفق أن تنكره علي كما أنكره قبلك أناس كثيرون). فتهيج زنار وقال: (اذكري الشرط يا حبيبتي ولاتتهاوني به فالشرط مهما كان جليلاً عظيماً. والخطب مهما كان فادحاً خطيراً، لايخفيني ولايثني عزيمتي طالما وراءه رضاؤك وحنانك وحبك).

فأجابته: (هل لك أم يا فتى؟ ـ فقال زنار نعم أنها لعجوز نحيلة، رقيقة الاحساس، نقية محسنة، رحيمة رؤوفة) فاردفت كلناز قائلة: (حسن جداً يافتى فإن كنت تحبني حقاً وتتفانى بحبي وتضحي بكل شيء لأجلي فآتني بقلب أمك العجوز وليكن هذا القلب صداق الحب)..

جمد الدم في جسم زنار عند سماعه هذا الشرط فاصبح لايدري مايفعل: أيلتزم جانب الايجاب أو السلب أم يظهر الرضى أو السخط لكنه اطرق وأطال الاطراق حتى قطعت كلناز اطراقه بقولها: (ألم أقل لك إن حبي فظيع خطير).

كأنه أصيب بمس من الجنون أو هز في الدماغ، فأخذ خنجراً قاطعاً ودخل غرفة أمه الغارقة في لذة الكرى، وقف هنيهة أمام سريرها مرتعد الفرائص مرتجف الجوانح ثم أخذ عنقها بيده

وفصل رأسها عن جذعها بأسرع من انفصال الجريان الكهربائي عن سلكه ثم شق جوفها وانتزع قلبها ووضعه في صحن ووقف برهة شاخصاً بالقلب وذرف دمعتين حارتين، دمعة من العين، ودمعة من القلب، وحاول أن يلصق أجفانه بعضها ببعض ولكن عبثاً حاول فقد تقاصرت الأجفان من ألم الوجدان. ثم اقلع يعدو نحو الجسر ليقدم القلب لحبيبته، لأن الفجر أصبح على قاب قوسين أو أدنى. وأنه لسائر في الظلمة الخامدة يهتز في سيره من شدة ما أصابه من الذهول ومن هول الموقف الرهيب المهيب. ومن الضمير الذي ما انفك يوخزه ويعصف بأحشائه كما تعصف الريح بالاشجار، إذ زلت قدمه في حفرة فسقط القلب على الأرض وتلوث بالتراب وسقط هو أيضاً أثر سقوطه، فاصطدمت ساق رجله بحجر فصاح وتأوه من شدة الألم. أما قلب الأم المقلى على التراب فتأوه لتأوه زنار وتوجع لوجعه وانطقه الله بعظيم قدرته فقال بصوت خافت ناعم رحيم: (مابك يابني فهل أصابك شيء أوجعك وآلمك، فياليت الصدمة كانت لي. هوِّن عليك يابني فإني لا أريد أن أراك حزيناً متألماً. أقبل إلي بحياة من ضحيت حياتي لأجلها لأضمد جروحك. إني راضية يا بني بما أصابني مادام فيه سعادتك وهناؤك، بربك لاتبك قم واسرع فإني اشفق أن تتأخر عن موعدك).

القلم عاجز عن وصف مادهى زنار لدى سماعه قلب أمه يتكلم متلهفاً عليه راثياً لحاله فقد انكب عليه مغشياً وأخذه بيده وضمه إلى صدره ورسم عليه بشفتيه المرتجفتين عدة دوائر، مردداً: أماه! أماه! أماه! واغرورقت عيناه وانسكب الدمع الحار منهما حتى سال على خده وهطل على قلب أمه. وبقي زنار ملقى على القلب إلى أن شهق شهقة كانت فيها نفسه...

المحتويات

– المقدمة	7
– التصدير	12
– سيرة حياة الكتاب قدري جان	15
– دراسة أعماله القصصية والشعرية	20
–رسالة بخط يد الكاتب قدري جان	33

قصص ومقالات

ـ إن وجدت الصرخة، فالشكوى تليها	**39**
ـ القرية المحدثة	**41**
ـ سليمان بك بدرخان	**42**
ـ البصرى الذهبية	**44**
ـ البدر	**46**
ـ أليس كذلك أيها الشعب؟	**48**
ـ ربيع ديريك	**50**
ـ عزاء خالي	**52**
ـ القسم	**54**
ـ الذنب	**58**
ـ الأيام الماضية	**62**
ـ كلاب المصايف	**65**
ـ كُلجين.	**67**
ـ صيد الخنازير	**72**
ـ الانقلاب الأحمر الكبير	**75**
ـ الخاتمة – النهاية	**78**
ـ نادي النصر (سركوتن)	**81**
ـ خاتم سليمان	**82**
ـ الثعلب الماكر	**85**

شعر

ـ كم هي جميلة	89
ـ مواساة	90
ـ الحداد	92
ـ في صحراء	94
ـ التابوت المدمى	96
ـ جگرخوين	97
ـ حلم اليقظة	99
ـ الأم	101
ـ جواب الفتوة للأم هاوار	102
ـ رسالة	103
ـ مرثية	104
ـ الطريق الجديد	105
ـ الأسد قادم إلى الوطن	107
ـ سيد آخر الزمان	110
ـ الوردة الحمراء	114
ـ الوطن مثخن بالجراح	115
ـ قائد الكرد. . . البارزاني	116
ـ عزاء القاضي محمد	121
ـ ذاهب أنا إلى موسكو	125
ـ القمر الاحمر	128
ـ الرابع عشر من تموز	130
ـ قافلتنا	133
ـ رسالة إلى إذاعة طهران	135
ـ عيد اكتوبر	139

ـ ثورتنا في السجن 141
ـ مرثية جلادت بدرخان 142

ترجمة

ـ شعرة بيضاء 145
ـ في بلاد زنابق البيضاء 146
– العبرة من التاريخ 147
– الرجال الأبطال والشعب 149
– تاريخ سومي (فنلندا) 152
– سنلمان 154
– المأمور المربي 157
– الثكنة مدرسة الناس 160
– كرة القدم 166
– الأم. الأب. الأولاد 171
– صداق الحب 174